رؤية تحليلية لملامح تطور الانثروبولوجيا الاجتماعية: الموضوع والمناهج والمجالات

سناء مبروك*

منذ نشأة علم الانثروبولوجيا فى نهائيات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين وهناك العديد من المناقشات التى تثار حول الانثروبولوجيا كعلم، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة الانثروبولوجيا التى تجمع كتخصص بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية إلى جانب الخلاف حول تحديد التاريخ الفعلى لنشأتها، فالبعض يرجع الانثروبولوجيا إلى عصر التنوير الأوربى بداية القرن الثامن عشر وبعض الكتابات ترجح نشأتها إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى وهناك من يرجعها إلى حقبة تاريخية بعيدة حيث اهتمام بعض الكتابات الإغريقية بالإنسان وثقافته. ونظرًا لأهمية الانثروبولوجيا الاجتماعية تحاول الورقة الحالية من خلال التأصيل والتحليل النظرى التعرف على ملامح تطور الانثروبولوجيا، مجالات الانثروبولوجيا الرئيسية. وانطلاقة الاهتمام الأكاديمى بالأنثروبولوجيا الاجتماعية، مراحل تطور المنهج الانثروبولوجى، أيضا علاقة الانثروبولوجيا بالتنمية وغيرها من المحاور وثيقة الصلة بهذا الفرع الهام من فروع الانثروبولوجيا.

مقدمة

منذ نشأة علم الانثروبولوجيا فى نهائيات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين وهناك العديد من المناقشات التى تثار حول الانثروبولوجيا كعلم، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة الانثروبولوجيا التى تجمع كتخصص بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية إلى جانب الخلاف حول تحديد التاريخ الفعلى لنشأتها، فالبعض يرجع الانثروبولوجيا إلى عصر التنوير الأوربى بداية القرن الثامن عشر وبعض الكتابات ترجح نشأتها إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى، وهناك من يرجعها إلى حقبة تاريخية بعيدة حيث اهتمام بعض الكتابات الاغريقية بالإنسان وثقافته إلا أن إجماع العلماء على إن التطور الفعلى للأنثروبولوجيا قد حدث على يد رواد الانثروبولوجيا الاجتماعية social anthropology بالمدرسة البريطانية بزعامة مالينوفسكى ١٨٨٤-١٩٤٢، والعالم رادكليف براون١٨٨١-١٩٥٥. ومن رواد المدرسة الأمريكية العالم فرانز بواس ١٨٥٨-١٩٤٢ ومن

* أستاذ الانثروبولوجيا المساعد، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

المدرسة الفرنسية مارسيل موس ١٨٧٢-١٩٥٠ وكلود ليفى ستروس الذى يعد رائد الانثروبولوجيا الحديثة، حيث أكد على أن اهتمام الانثروبولوجيا الاجتماعية ينصب على الأجناس البشرية[١].

لقد ركزت إسهامات الرواد الأوائل فى تطوير الأنثروبولوجيا الاجتماعية من خلال وضع قواعد منهجية تعتمد بشكل أساسى على الدراسة الحقلية كذلك التركيز على الجانب الاجتماعى والثقافى للمجتمعات وليس الاهتمام بالجانب البيولوجى فقط الذى ركزت عليه الدراسات والبحوث الانثروبولوجية فى بداية النشأة أيضا أسهم العلماء فى ترسيخ المفهوم الانثروبولوجى للتنمية من خلال بحوث الأنثروبولوجيا التطبيقية anthropology applied التى أوضحت أهمية دور الانثروبولوجيا فى برامج التنمية [٢].

فمن خلال البحوث الانثروبولوجية التطبيقية يمكن الوقوف على استراتيجيات التنمية المحلية وكيفية تحقق الأهداف التى من خلالها يتم تحسين المستوى المعيشى للسكان اجتماعيا واقتصاديا بل وثقافيا.

فالأنثروبولوجيا كمدخل ومنهج يصلح لدراسة المجتمعات البدائية والمتحضرة وهذا فى حد ذاته مسار تساؤل إذ كيف يمكن تطبيق ذات المنهج العلمى وأساليبه البحثية على نمطين مغايرين لكل منهما خصائصه وتركيبته المنفردة؟ وعلى الرغم من تركيز النشأة الأولى للعلم على دراسة المجتمعات البدائية والكشف عما يميز سكانها من خصائص وملامح بيولوجية وثقافية ومراحل التطور للنوع البشرى والوقوف على أعماله وإنجازاته، إلا أنه وفى الآونة الأخيرة قد حدثت نقلة نوعية من حيث اهتمام الانثروبولوجيا الاجتماعية بعدد من الموضوعات تختلف عما نشأت عليه منها الدراسات الحقلية على المجتمعات المتحضرة urban societies والوقوف على ما بها من ظواهر تؤثر فى البناء الاجتماعى وتحدد وظائفه إلى جانب الوقوف على طبيعة القضايا المعاصرة التى تواجهها المجتمعات الكبيرة معقدة التركيب.

إن أهمية الانثروبولوجيا الاجتماعية وغيرها من فروع هذا العلم المهم تتضح من خلال نوعية الدراسات التى تجريها وما الأهداف التى تسعى البحوث الانثروبولوجية لتحقيقها. وهنا نسترشد "بتساؤل العالم كليفورد جيرتز Clifford Geertz عند تفسيره للثقافة، ماذا يدرس الباحث الاثنوجرافى وما الذى يسعى إلى تحقيقه؟ إن ما تقوم به البحوث والدراسات الانثروبولوجية من الكشف عن طبيعة المجتمعات، الحفاظ على الموروثات، الكشف على الموارد الطبيعية، الوقوف

على الاختلافات بين المجتمعات بيولوجيا، ثقافيا، يعد مبدأ أساسيا للحفاظ على هوية المجتمعات مع محاولات تنميتها اجتماعيا اقتصاديا[٣].

إلى جانب العمل على مواجهة الضغوط و مواطن الضعف التى تعانى منها بعض المجتمعات واستغلال الفرص والإمكانيات لتحسين نوعية الحياة وتحقق الرفاهية الاجتماعية لقد أوحت الدراسات الانثروبولوجية بالكثير من الأفكار التى تبنتها المنظمات الدولية العاملة من أجل الإنسان فى تحسين نوعية الحياة والعمل على تنمية العديد من المجتمعات مع الحفاظ على هويتها الثقافية منها مجهودات منظمة اليونيسف والبنك الدولى كذلك البرنامج الانمائى للأمم المتحدة فى الاستعانة بالدراسات الانثروبولوجية فى مناطق عديدة منها باكستان، الفلبين هايتى، نيجيريا، كوريا، نيبال، بنجلاديش وغيرها من المجتمعات التى أسهمت البحوث الانثروبولوجية فى تحسين أحوال سكانها الصحية الثقافية تحديدًا.

ملامح تطور الأنثروبولوجيا

على الرغم من وضوح المفهوم العلمى للأنثروبولوجيا منذ نهائيات القرن التاسع عشر فإن للأنثروبولوجيا تاريخ قديم يعود إلى كتابات فلاسفة الاغريق واليونان فى القرن الخامس قبل الميلاد كذلك كتابات أصحاب المذهب الأخلاقى فهناك العديد من التعريفات التى ارتبطت بمفهوم الأنثروبولوجيا ونظرا لعدم وضوح المصطلح "فقد جاءت تعريفات مفكرو القرن السابع عشر فيما يتعلق بتعريف الانثروبولوجيا إنه مصطلح مقابل الكسمولوجيا Cosmology "علم الكون" وأيضا مقابل الثيولوجيا Theology "علم الالهيات" وفى نهاية القرن السابع عشر بدأت ملامح الانثروبولوجيا تتضح من خلال الاهتمام بدراسة علم الأجناس والأعراق للسكان المحليين كالهنود الحمر، سكان استراليا الأصليين وحتى ظهور إسهامات المدرسة الفرنسية فى تفسير علم الأجناس البشرية من أمثال الفرنسى بروكا Broca وكاترو فاج quatrefages حتى ظهرت إسهامات ليفى ستروس Claude Levi Strauss واهتماماته بدراسة الأجناس البشرية[٤].

أما رواد عصر النهضة الأوربى فقد تناولوا سمات وثقافة السكان فى مجتمعات متباينة مغايرة كليا لطبيعة مجتمعاتهم فنتيجة للرحلات الجغرافية، العلمية، التجارية والعسكرية لتلك المناطق تم اكتشاف العديد من الثروات الثقافية سواء مادية من اختلاف نمط المسكن، الملابس، الأطعمة الأدوات، الأسلحة وأيضا ما يتعلق بالثقافة غير المادية من لهجات، أساطير، حكايات،

معتقدات إلا أن أساليب جمع هذه المعلومات جاء بطريقة غير منظمة حيث لم يدرك القائمون على جمع ذلك التراث أن تلك الخطوة ستكون سببا فى نشأة علم جديد، وهذا ما دعا بعض المنظرين إلى وصف الأنثروبولوجيا إنه علم قام بمحض الصدفة وإنه علم استعمارى ولعل فى هذا التوصيف قدرا من الحقيقة التى لا يمكن إنكارها فكثير من الانثروبولوجيين يرفضوا إلصاق تلك الاتهامات إلى الانثروبولوجيا إلا أن الأحداث التى سبقت نشأة الانثروبولوجيا كعلم هى ما ساعدت على وصفه ببعض العبارات التى يرى الرافضون لها أنها اتهامات وإن كانت فى واقع الأمر حقيقة فما تم العثور عليه من مناطق عامرة بالثروات الطبيعية وجماعات سكانية ذات صفات بيولوجية فريدة وخصائص ثقافية مختلفة مع عدم إدراك قاطنى تلك المناطق لأهمية ما يمتلكونه من ثروات طبيعية أعقب ذلك خطوة فارقة فى تاريخ تلك المجتمعات؛ فنتيجة لما رواه الرحالة تم تجهيز عدد من الرحلات العسكرية تحت غطاء الاكتشافات العلمية ومحاولة تنمية السكان الأصليين اجتماعيا اقتصاديا وتقديم الرعاية الصحية والتعليمية وان كان الهدف غير المعلن هو استعمار تلك المناطق واستغلال ثرواتها الطبيعية لخدمة المملكة البريطانية مثلما حدث ببعثة جزر بافن بالأسكيمو التى تزعمها عالم الانثروبولوجيا فرانز بواس Franz Uri Boas ، كذلك رحلات مضايق توريس عام ١٨٩٨-١٨٩٩ والتى أشرفت عليها جامعة كمبردج وبعثة جزر رحلات المحيط الهادى بجزر الارجونتس بزعامة رائد الانثروبولوجيا الاجتماعية مالينوفسكى Bronislaw Malinowski عام١٩٢٢ وغيرها من الرحلات التى أشرف عليها رواد الانثروبولوجيا(٥).

لقد تعددت الاهتمامات الانثروبولوجية منذ التعرف على ثقافة وملامح سكان إفريقيا، المكسيك، أمريكا اللاتينية وذلك منذ خمسينات القرن العشرين وبعد انتهاء فترة الاستعمار لبعض الدول من خلال سعى الباحثون الانثروبولوجيون لدراسة تلك المناطق حيث أطلق على تلك البحوث "دراسة المناطق" area study وعرفت أيضا "بالمناطق الثقافية" cultural area ، والمقصود بها المناطق التى تم اكتشافها ثم احتلالها ثم نالت استقلالها، حيث هدفت البحوث الانثروبولوجية فى دراساتها على الجماعات ذات الوحدة الثقافية ومنها ظهرت مصطلحات جديدة كالجماعات الإثنية والجماعات البدائية native (٦).

لا شك أن الانثروبولوجيا قد تأسست بهدف اكتشاف أهم ما يميز سكان المجتمعات البدائية ولقد أسهم رواد الانثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية فى الحفاظ على الثروات الثقافية لتلك المجتمعات وتسجيل ووصف أهم ملامحها قبل الاندثار وقبل أن يمتد إليها التحضر، وعلى الرغم

من أهمية ذلك الهدف والذى قامت على أثره فى الوقت الراهن العديد من المنظمات التى أسست فقط للحفاظ على التراث كمنظمة اليونسكو، وجمعيات الحفاظ على التراث التقليدى، والمتاحف التراثية العالمية فى معظم دول العالم والتى تستعين بالباحثين فى مجال الانثروبولوجيا الثقافية والاركيولوجيا وكذلك الانثروبولوجيا الاجتماعية لما لديهم من خبرات وقدرة على التعامل مع المناطق ذات الثراء الثقافى، إلا أن تركيز الانثروبولوجيا فى بداية نشأتها على دراسة المجتمعات البدائية primitive societies قد تسبب فى اتهام الانثروبولوجيا بأنه علم يهتم بالمناطق البدائية فقط أى علم محدود وإنه علم يخاطب الخيال من خلال وصف مجتمعات لم تعد متواجدة ولعل ما واجهه التخصص من هجمات بين الحين والآخر خاصة فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ورفض البعض للفكر الانثروبولوجي الذى أثار قلق التخصصات الإنسانية الأخرى وتسبب فى انتشار ما ادعاه البعض من عدم قدرة الانثروبولوجيا كعلم على أن يواكب التغيرات المجتمعية ويدرس المجتمعات الكبيرة معقدة التركيب وهو ما تم دحضه تماما إذ أصبح للأنثروبولوجيا تواجد قوى وأصبحت الانثروبولوجيا خاصة الاجتماعية من التخصصات ذات الشراكة فى تناول القضايا المعاصرة فى المجتمعات المدنية أو الحضرية، وذلك يرجع إلى قدرة الانثروبولوجي المتخصص على وصف وتفسير ما يحيط بالجماعات الإنسانية من عناصر وملامح طبيعية وثقافية والوقوف على الخصائص الايكولوجية للمنطقة محل الدراسة، إلى جانب الوصول إلى التفسيرات المتعمقة والتحليلات المنطقية البعيدة عن التحيز والقائمة دقة الملاحظة عمق المقابلة وعلى الموضوعية. فالباحث الانثروبولوجي هو من لديه القدرة على إحياء الماضى بالاعتماد على الأساليب العلمية إلى جانب دراسة وتفسير الوضع الراهن والوقوف على طبيعة الأبنية المجتمعية للمجتمعات. ولنعود إلى طرح تساؤل لماذا انصب اهتمام الباحثين الانثروبولوجيين على دراسة المجتمعات البدائية؟ فرغم بدائية هذه المجتمعات للحد الذى تم وصمها بالتخلف فإنها جذبت اهتمام الباحثين بما تمتلكه من تراث ثقافى وخبرات تقليدية، أسلوب خاص فى التعامل مع البيئة الطبيعية (ممارسات وعقائد ولهجات مختلفة) خلق نموذج ثقافى خاص مختلف عن النماذج الأخرى يجب الوقوف أمامه ودراسته، عرفت بعض الكتابات المجتمعات البدائية أنها مجتمعات لا تمتلك سلطة مركزية، بعيدة عن أساليب الحياة الحضرية، تتمسك بمعتقدات متوارثة ولديها ثقافة تقليدية وشعائر وممارسات خاصة، ليست لديهم وسائل حديثة، يوصف اقتصادهم بأنه بسيط، حيث الاعتماد على ما تهبه لهم الطبيعة من موارد، لديهم سلطة قبلية شديدة التعقيد ومن خلالها يتم تطبيـق وسائل الضبـط

الاجتماعـى كذلك أطلق عليهم مجتمعـات ما قبـل الكتابة pre- literate societies ويمكن القول إنها كيان مجتمعى خاص بما يمتلكه من ثقافة متوارثة وعقائد وممارسات راسخة تميزه عن المجتمعات الأخرى بما تمتلكه من ملامح ثقافية ونظم اجتماعية خاصة، لقد أسهمت خصوصية تلك المجتمعات وما تمتلكه من ثروات ثقافية فى حث الباحثين على أهمية تطبيق الدراسات الحقلية فى تلك المجتمعات ورصد أساليب تكيف الإنسان البدائى مع البيئة ومدى قدرته على ابتكار وسائل بسيطة تساعده على الاستمرار، أيضا رغبة الباحثين فى التعرف على طرق التفكير لدى الرجل البدائى كيف يفكر وفيما يعتقد؟ ما هى طقوسه ومتى يمارسها؟ كيف نما لذهن من وصفو بالتخلف أن يسجلوا أحداث يومهم وحياتهم بالنقش على جدران الكهوف لتصبح ميراثا للأجيال القادمة! لقد أدرك الرجل الغربى خاصة بعد الرحلات الاستكشافية إن تلك المجتمعات لن تمكث طويلا فى وجه التغير والتطور ومن هنا سعى الانثروبولوجيون الأوائل إلى الحفاظ على ذلك التراث بتدوين وتسجيل كل ما يتعلق بأسلوب حياة المجتمع البدائى وهذا ما نجده مدون فى المذكرات اليومية لرواد الانثروبولوجيا الاجتماعية من أمثال هنرى مين، مارجريت ميد، فرانز بواس، مالينوفسكي ايفانز بريتشارد، ليفى ستروس كليفورد جيرتز وغيرهم ممن اثروا المكتبة الانثروبولوجية بالكثير من الإنتاج العلمى وعلى الرغم من الانتقادات التى وجهت إلى الانثروبولوجيا حول محدودية العلم وأن توظيف التخصص فى العصر الحالى أصبح ضعيفًا نظر لعدم توفر المناطق والجماعات والثقافات الملائمة للدراسة والبحث الانثروبولوجي، إلا أن هذه نظرة ضيقة إلى الانثروبولوجيا الذى أصبح شريكًا مهمًا وأساسيًا فى العديد من التخصصات العلمية كالبحوث الطبية، الهندسية، التخطيط والعمران البشرى، الآثار العلوم الجنائية، الإعلام، قضايا المرأة، التنمية حيث تمكنت الانثروبولوجيا من توظيف آلياتها كمدخل وكمنهج وما تمتلكه من أساليب وأدوات بحثية من الوقوف على دراسة التغيرات المجتمعية وأسبابها وهذا لا يمنع فى حالة توفر إمكانية دراسة مجتمعات تقليدية يسرع الانثروبولوجيون للذهاب إلى تلك المجتمعات لدراستها دراسة متعمقة كما حدث فى دراسة المجتمعات الصحراوية بمصر تحت إشراف المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية فى التسعينات وكذلك البحوث الانثروبولوجية فى الهند.

ويمكن القول إن الملامح الأولى لتطور الانثروبولوجيا كعلم قد اتضحت من خلال التحديد العلمى لمصطلح الأنثروبولوجيا حيث يعود المصطلح إلى الأصول اليونانية شأن الكثير من المصطلحات العلمية التى تعود إلى اليونانية، يتكون من مقطعين الأول يسمى انثروبوس

Anthropos ويعنى الإنسان المقطع الثانى من الكلمة هو لوجوس logos وتعنى المعرفة وفى بعض المعاجم تعُرف بالدراسة أى إنه العلم الذى يهتم بمعرفة ودراسة الإنسان ثم ترجم إلى اللغة الإنجليزية anthropology وعرف بالعربية علم الإنسان[٧].

لقد حددت الانثروبولوجيا كعلم مجالات الاهتمام، حيث التركيز فى المقام الأول على دراسة ومعرفة وتفسير طبيعة الكائن البشرى "الإنسان" وذلك من خلال الحرص على التعرف على خصائصه الفيزيقية، سماته الثقافية، عاداته وممارساته اليومية، المنظومة الاجتماعية التى تشكل طبيعة البناء الاجتماعى وما يتضمنه من انساق اجتماعية متعددة كالنسق الاجتماعى، الاقتصادى، المعرفى، السياسى الثقافى وغيرها من النظم التى تشكل حياة الجماعات البشرية فى بيئتها الطبيعية ومدى القدرة على التكيف مع البيئة المحيطة خاصة مع ندرة الإمكانات وقسوة الحياة التقليدية كذلك اهتمت الانثروبولوجيا بالوقوف على دراسة الإنسان باعتباره جزءًا من المنظومة الاجتماعية والثقافية التى تشكل البيئة الاجتماعية للنوع الإنسانى، ولعل ما أدركه الباحثون الأوائل من اختلاف الصفات البيولوجية لسكان المناطق التى تم اكتشافها هو ما أدى إلى ظهور علم الأجناس والسلالات البشرية إلا أن الإسهام الانثروبولوجى فى دراسة الإنسان لم يقتصر على الجانب الطبيعى أو البيولوجى للنوع البشرى وتحديد الصفات الجسمانية الداخلية أو الخارجية فقط، بل أنصب الاهتمام على دراسة الجانب الثقافى والاجتماعى، حيث تم تجميع المئات من المجلدات التى تتناول الحياة الثقافية للسكان الأصليين بمختلف القارات وما تشتمل عليه الثقافة من عادات وتقاليد وقيم وأعراف وكذلك أسلوب تفكير تلك الجماعات ونظرتهم لا نفسهم وللأخر.

من هنا لاقت الانثروبولوجيا كأحد العلوم الإنسانية رواجا وشهرة كبيرة فى الدول الأنجلوسكسونية خاصة الولايات المتحدة الأمريكية، نظرا لكونه مجتمع يمزج بين عدة ثقافات لذلك عرفت الانثروبولوجيا فى أمريكا بالأنثروبولوجيا الثقافية. ولا شك أن للرواد الفرنسيين دورا مهمًا فى تعريف الانثروبولوجيا وانتقال العلم إلى عصر الحداثة من خلال أعمال ليفى ستروس Levi Strauss، مارسيل موس Marcel Mauss مع اختلاف غاية الانثروبولوجيا وأهدافها فى أمريكا عنها بفرنسا. فالأنثروبولوجيا فى فرنسا تعنى معرفة الآخر وهى المرادف لعلم الاثنولوجيا Ethnology خاصة مع وضوح الأهداف الاستعمارية للدول الفرنكوفونية ومن هنا جاء تعريف الانثروبولوجيا بأنها العلم الذى يتناول الإنسان باعتباره كائنًا اجتماعيًا وثقافيًا فالأنثروبولوجيا بحث إنسانى فى المقام الأول تبحث عن القيمة لدى الإنسان[٨].

لقد تعدى مفهوم الانثروبولوجيا المعنى الاصطلاحى إلى إيضاح مجال اهتمام الانثروبولوجيا كعلم وما يجب الوقوف عليه من بحوث ودراسات تفسر طبيعة وواقع المجتمعات الإنسانية سواء البدائية أو التقليدية وصولا إلى المجتمعات المركبة.

"فالأنثروبولوجيا من العلوم الاجتماعية التى تهتم بدراسة النوع الإنسانى داخل بيئته الطبيعية والاجتماعية للتعرف على أسلوب حياة النوع الإنسانى، وأسباب الاختلاف بين السلالات هى العلم الذى يهتم بدراسة طرق الحياة فى الأزمنة والأمكنة المختلفة[٩].

لذلك تعنى الانثروبولوجيا بدراسة الإنسان واكتشاف طبيعة وأصول الجماعات فهو علم الاكتشافات والتحقق حيث التركيز على أصل الإنسان، مراحل التطور، الصفات التشريحية والثقافية، كذلك تبحث الانثروبولوجيا فى الصفات المشتركة بين الإنسان الأول، والإنسان الحالى فى محاولة لتفسير منتجات النوع البشرى طبيعة المسكن، نوع الملابس، نظام التغذية، الفن، العادات، اللهجات، أنماط السلوك وطبيعة التفكير، السمات الشخصية، وما يتعلق بالبنية الفوقية للجماعات الإنسانية وكل الاختلافات البيولوجية والثقافية[١٠].

"يقول ليفى ستروس Levi Strauss أن الانثروبولوجيا علم يهدف إلى المعرفة الكلية، الشمولية للإنسان فى علاقاته بامتداده التاريخى ومحيطه الجغرافى فمن خلال موضوعات الانثروبولوجيا يمكننا تحديد القوانين العامة لحياة الإنسان سواء فى الشعوب البدائية أو الحديثة وعليه فموضوعات الانثروبولوجيا تختلف باختلاف المدارس والاتجاهات فمنها الانثروبولوجيا التطبيقية، الثقافية الفيزيقية، التربوية، الايكولوجية، الاقتصادية، السياسية الدينية[١١].

من هنا جاء اهتمام الأنثروبولوجيا بدراسة الإنسان من خلال تحليل أفكاره، وأعماله، وعلاقته بالبيئة والقدرة على التكيف إلى جانب طبيعة بناء الجماعات القريبة كذلك الوقوف على الاختلافات بين البشر ومدى تأثيرها على البناء الاجتماعى، مما استدعى أن تقوم علاقة تكاملية بين الانثروبولوجيا وبعض العلوم الأخرى مثل علم النفس الإيكولوجيا، التاريخ، والقانون، والاقتصاد، والطب، والكيمياء، والعلوم الوراثية، وذلك للوصول إلى تفسير متكامل عن الطبيعة البشرية من زوايا علمية متنوعة وقد نتج عن ذلك فيما بعد ظهور تخصصات انثروبولوجية متعددة.

كذلك أسهم اهتمام الانثروبولوجيا بدراسة النوع الإنسانى داخل بيئته الطبيعية والوقوف على التأثيرات المتبادلة بين البيئة والإنسان فى ظهور العديد من التخصصات ذات الصلة بالأنثروبولوجيا مثل الإيكولوجيا البشرية، الايكولوجيا الثقافية وكذلك السلوكية لذلك عندما نتساءل ماذا تدرس الانثروبولوجيا؟ تكون الإجابة هو العلم الذى يدرس النوع البشرى فى محاولة للكشف عن استراتيجيات عيش الجماعات والأفراد فى ظل الاختلافات المكانية والثقافية [١٢].

مجالات الانثروبولوجيا الرئيسية

على الرغم من تعدد أفرع الانثروبولوجيا فإن هناك إجماعًا بين علماء المدرسة البريطانية والأمريكية وكذلك الفرنسية على أن "علم الانثروبولوجيا ينقسم إلى مجالين رئيسيين هما الانثروبولوجيا الطبيعية physical anthropology والانثروبولوجيا الثقافية cultural anthropology

- أولا : الانثروبولوجيا الطبيعية physical anthropology بدأت ملامح الانثروبولوجيا كعلم على يد علماء وباحثين العلوم الطبيعية مما كان له أثر بالغ فى الاهتمام بالجوانب البيولوجية والتشريحية فى البحوث الانثروبولوجية ونظرا لتداخل الانثروبولوجيا الطبيعية مع علوم أخرى كالتشريح، الأحياء، الوراثة، فهو مجال يهتم بالبحث ودراسة الإنسان من الناحية البيولوجية كالاهتمام بالخصائص التشريحية للنوع البشرى، الصفات الجسمانية الداخلية والخارجية للإنسان ككائن حى. وتبدو أهمية هذا المجال الانثروبولوجي فى تحديد التباينات بين السلالات وتحديد الاختلافات الجسمانية بين الجماعات السكانية كاختلاف لون البشرة، حجم الجسم، التكوين الداخلى للجسم، اختلاف فصائل الدم وظائف الأعضاء وغيرها مما يحدد طبيعة سكان كل منطقة وارتباط تلك الاختلافات البيولوجية بالمناخ التغذية، الأمراض والأوبئة مما يساعد على تصنيف السلالات البشرية تصنيفا علميا ومع تطور البحوث فى مجال الانثروبولوجيا الطبيعية أصبح هناك نوع من التعاون العلمى بين التخصصات منها استعانة الانثروبولوجيا الطبيعية بعلم وظائف الأعضاء، الكيمياء الحيوية، العلوم الوراثية، الهندسة الوراثية، علوم البيئة، التغذية الصحية إلى جانب استخدام مقاييس الجسم الحديثة منها جهاز الانثروبومترى الذى يقيس صفات الجسم الخارجية وجهاز البايومترى الذى يقيس صفات الجسم الداخلية والتى تستخدم فى المجال الطبى حيث يستعين بها الباحثون الانثروبولوجيون عند دراسة سكان المجتمعات المتباينة مع الاستعانة بالعلوم الاركيولوجية والحفريات لتوصيف

وتحليل ما يتم العثور عليه من حفريات عظمية فى محاولة لإعادة بناء ماضى النوع البشرى وتحديد صفات.

- ثانيا: الانثروبولوجيا الثقافية cultural anthropology تخصص قائم على الاهتمام بالبحث والتفسير فى دراسة الإنسان من الناحية الثقافية ككائن ثقافى يحمل العديد من الأفكار والمعتقدات والعادات والممارسات التى تضفى على كل منطقة الخصوصية الثقافية الخاصة بها(١٣) .

لقد أثار مجال الانثروبولوجيا الثقافية العديد من المناقشات واحتدام الصراع بين علماء المدرسة البريطانية والمدرسة الأمريكية حيث يرى أصحاب الاتجاه البريطانى أن المجال الثانى للعلم هو الانثروبولوجيا الاجتماعية التى تهتم بالإنسان ودراسة نظمه الاجتماعية والأنساق المختلفة معترضين أن يطلق عليها الانثروبولوجيا الثقافية في حين دافع عن تلك التسمية أصحاب المدرسة الأمريكية وإن كان هذا الجدل العلمى حول المصطلحات قد توقف حيث لا مجال لهذا الاختلاف خاصة مع تطور الدراسات الانثروبولوجية وتنوع مجالاتها واستخدام مصطلح الانثروبولوجيا الثقافية الاجتماعية socio-cultural anthropology مع احتفاظ كلا المدرستين بالتمسك باتجاهاتها العلمية والمسميات، ونظرا إلى ما تهدف إليه الورقة العلمية الحالية من محاولة الوقوف على رؤية تحليلية لملامح تطور الانثروبولوجيا الاجتماعية، ونظرا لكونها أحد المجالين الرئيسين لعلم الانثروبولوجيا فسنحاول فيما يلى الاقتراب من طبيعة الانثروبولوجيا الاجتماعية.

الانثروبولوجيا الاجتماعية: النشأة ومجالات الاهتمام

ظهر مصطلح الأنثروبولوجيا الاجتماعية فى بريطانيا فى السنوات الأولى من القرن العشرين وجاء استخدامه لوصف نمط مميز من الأنثروبولوجيا تعتمد على الدراسات المقارنة لثقافات الشعوب لذلك وصف العلم أنه علم مقارن فمن خلال جمع المعلومات الاثنولوجية ومقارنتها يمكن للباحث تحديد خصائص كل منطقة فالاثنولوجيا تعنى علم وصف ومقارنة ثقافات الشعوب من أجل الوصول لتحديد الملامح الثقافية التى تميز المجتمعات وما يمكننا من عقد مقارنات بين الشعوب والسلالات تظهر خصوصية كل مجتمع على حدة بناء على ما يمتلكه من ملامح ثقافية، لعل من أهم ما قيل فى الانثروبولوجيا الاجتماعية وقوبلت بالرفض الشديد من قبل العديد من العلماء ما طرحه العالم راد كليف براون أحد رواد الانثروبولوجيا الاجتماعية أثناء إحدى المحاضرات أن

الأنثروبولوجيا الاجتماعية ما هى ألا علم اجتماع مقارن وأطلق عليه سوسيولوجيا المجتمعات البدائية وهو من الأقوال غير الصحيحة نظرا لاختلاف منهجية المسح الاجتماعى فى علم الاجتماع عن منهجية وقواعد علم المنهج الانثروبولوجي الذى يعتمد وبشكل أساسى على الدراسات الحقلية والمعايشة الكاملة للمجتمعات المدروسة مع اختلاف المنهجية الأساليب والأدوات التى يتم الاعتماد عليها فى المسوح الاجتماعية والدراسات الحقلية.

فمن حيث التطبيق تعتمد الانثروبولوجيا الاجتماعية على العمل الميدانى fieldwork وهنا نرصد إسهامات المدرسة الفرنسية بزعامة إميل دوركايم ومجموعة العلماء الفرنسيين التى نشرت مقالاتهم الاجتماعية بمجلة L'Année sociologique فى معارضة مدارس الأنثروبولوجيا التطورية والانتشارية التى كانت سائدة آنذاك إلا أنه بحلول منتصف القرن العشرين كانت الأنثروبولوجيا الاجتماعية تتناقض بشكل متزايد مع التقليد الأكثر إنسانية للأنثروبولوجيا الثقافية الأمريكية وتعارض توجهاتها، مما ساعد على تأسيس كرسى الانثروبولوجيا الاجتماعية وبقوة من خلال سلسلة المحاضرات الأسبوعية بالجامعات البريطانية ونشر أعداد منتظمة من الأبحاث الانثروبولوجية بالمجلات العلمية مما زاد من هوة الخلاف بين المدرسة البريطانية التى تتبنى الاتجاه المقارن فى الانثروبولوجيا الاجتماعية والمدرسة الأمريكية التى تعارض تلك التسمية وتتمسك بمصطلح الانثروبولوجيا الثقافية [١٤] .

إن السنوات التى تلت الحرب العالمية الثانية جلبت انهيارًا جزئيًا للمعارضة البريطانية للأنثروبولوجيا الثقافية الأمريكية حيث تخلى العلماء الأصغر سنا عن مبادئ علم الاجتماع المقارن التى حددها العالم راد كليف براون وخلال نفس الفترة تم استخدام المصطلح بشكل متزايد فى أوروبا من قبل عالم الأنثروبولوجيا الفرنسى كلود ليفى ستروس الذى اعتلى كرسيًا فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية فى كوليج دو فرانس فى عام ١٩٥٩، وعندما أسس علماء الأنثروبولوجيا الأوروبيون جمعية مهنية مشتركة فى أواخر ١٩٨٠ أخذت عنوان الرابطة الأوروبية لعلماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية (EASA) وأسست المجلة العلمية للأنثروبولوجيا الاجتماعية[١٥] .

رواد الانثروبولوجيا الاجتماعية واسهاماتهم

عام ١٩٠٨ بدأت قصة الانثروبولوجيا الاجتماعية بتعيين العالم جيمس فريزر أستاذ كرسى الانثروبولوجيا الاجتماعية بليفربول، إلا أن تقلد فريزر لكرسى الأستاذية لم يدم طويلا، وذلك بسبب

رفض فريزر التقيد بالتدريس بالجامعة وهو من سعى لبدء العمل الحقلى وتوسع نطاق البحوث الانثروبولوجية التى وصفها (بالأنثروبولوجيا العقلية) ويمكن القول أن التدريس المتميز فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية تم تأسيسه فى كل من جامعة أكسفورد وكامبريدج فى السنوات التى سبقت الحرب العالمية الأولى مباشرة، حيث ظهر شخصان يمثلان قوى فكرية مهيمنة فى التخصص الجديد بدأ بتعيين القطب Bronislaw Malinowski للمحاضرة فى علم الإنسان الاجتماعى فى كلية لندن للاقتصاد وسرعان ما حصل على الأستاذية حيث أقام مالينوفسكى ندوة بحثية ذات تأثير كبير تم فيها تعليم وتدريب الطلاب على أفكار وأساليب المدرسة الجديدة للأنثروبولوجيا، فى نفس الوقت شغل راد كليف براون سلسلة من الكراسى فى كيب تاون سيدنى، استراليا، وشيكاغو قبل العودة إلى الكرسى فى أكسفورد فى عام ١٩٣٧ وكثيرا ما ظهر تناقض الشخصيات والأنماط الفكرية للعالمين حيث تمتع مالينوفسكي بشخصية جذابة، رومانسية وهو ما بدى فى منشوراته الميدانية الشاسعة عن سكان جزر تروبرياند فى بابوا غينيا الجديدة أما راد كليف براون فقد كان أكثر جفافاً وتقشفًا رغم تركه أرثا فكريا تمثل فى سلسلة من المقالات القصيرة والمنهجية حول المقارنة والوظيفية والقرابة.

فى أوائل الخمسينيات من القرن العشرين أدى نشر مجموعة محررة حول القرابة فى أفريقيا إلى نقد مشهور فى صفحات مجلة American Anthropologist أشاد عالم الأنثروبولوجيا الأمريكى الرائد جورج ب موردك بإعجابه بالمدرسة الناشئة للأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية لريادتها فى تعريف الأثنوجرافيا وأهميتها فى الانثروبولوجيا الاجتماعية مع الاهتمام بأهمية التمسك بالجانب النظرى الداخلى وكيفية الجمع بين الأهمية التطبيقية والنظرية للأنثروبولوجيا الاجتماعية إلا أنه وجه انتقادًا شديد اللهجة للقائمين على التخصص بسبب طموحاتها الضيقة التى تركز وبشدة فى إفريقيا على القرابة، وعلى مجموعة من القضايا الفكرية التى كانت فى نهاية المطاف اجتماعية وليس أنثروبولوجية حيث كانت إحدى النقاط الرئيسية لنقد موردك هى عدم اكتراث الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأى مناقشة للثقافة، ولعل سبب هذا الانتقاد ما جسده راد كليف براون، حيث يعتقد أن الثقافة هى "تجريد غامض" ذى قيمة علمية ضئيلة وبدلاً من الحديث عن الثقافة يجب على علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية التركيز على المقارنة التى يفترض أنها أكثر صعوبة وأكثر واقعية بين الهياكل الاجتماعية المختلفة لقد قوبل هجوم موردك برد أكثر قسوة من العالم ريمون فيرث الذى طالب مالينوفسكى أثناء رئاسته لكرسى الانثروبولوجيا الاجتماعية بكلية لندن للاقتصاد بحشد

الباحثين وعلماء الأنثروبولوجيا البريطانية والأمريكية والاجتماعية والثقافية فى الوقت نفسه ومنحهم درجات علمية أعلى وسرعان ما تحول علماء الأنثروبولوجيا الأصغر سنا الذين تم تعيينهم فى الأقسام الناشئة للأنثروبولوجيا الاجتماعية فى بريطانيا إلى أساتذة تأكيدا على ترسيخ الانثروبولوجيا الاجتماعية بصورة أكاديمية [١٦] .

انطلاقة الاهتمام الأكاديمي بالأنثروبولوجيا الاجتماعية

اتفق الباحثون على أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية هى الدراسة المقارنة للطرق التى يعيش بها الناس فى بيئات اجتماعية وثقافية مختلفة فى جميع أنحاء العالم حيث تختلف المجتمعات بشكل كبير فى كيفية تنظيم نفسها وتحديد الممارسات الثقافية التى تتشارك فيها، وكذلك ترتيباتها الدينية والسياسية والاقتصادية، وعليه يكرس علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية أنفسهم لدراسة هذا الاختلاف بكل تعقيداته بهدف المساهمة فى فهم أوسع لما يعنيه الإنسان، وما يوحدنا كبشر، وكذلك ما يجعلنا متنوعين للغاية لذلك شهدت المحافل الأكاديمية اهتماما كبيرا بالأنثروبولوجيا الاجتماعية مع تطوير مجالاتها وكيفية الاستفادة من منهجية هذا التخصص فى تطوير مهارات الباحثين النظرية والحقلية وتوظيف الانثروبولوجيا فى العديد من المجالات حيث تمتلك الجامعات والمراكز البحثية والمنظمات الدولية ثقافة الوعى بأهمية البحوث والدراسات الانثروبولوجية فى تفسير واقع المجتمع وفهم الأنظمة الاجتماعية، لذلك بدأ العمل على تأسيس جيل من الباحثين المدربين على الدراسات النظرية من خلال إنشاء العديد من أقسام الانثروبولوجيا داخل الجامعات والمراكز البحثية وفتح برامج الماجستير والدكتوراه فى الانثروبولوجيا على المستوى العالمى والاقليمى وأيضا الجانب التطبيقى من خلال تنفيذ عدد من المشروعات البحثية الانثروبولوجية التى تهدف إلى تحسين نوعية الحياة وتنمية المجتمعات.

ولنأخذ على سبيل المثال لا الحصر على المستوى المحلى إنشاء قسم الانثروبولوجيا بعدد من الجامعات والمراكز البحثية المصرية فى مقدمتها جامعة الإسكندرية، المنصورة، عين شمس وكلية البنات، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، معهد الدراسات الافريقية. أما على المستوى الإقليمى فقد بدأ الاهتمام بالأنثروبولوجيا كعلم ودور الدراسات الاثنوجرافية والتطبيقية فى بعض الجامعات بالدول العربية لعل فى مقدمتها دولة الكويت، والمملكة العربية السعودية. أما على المستوى العالمى نجد جامعة كاليفورنيا (UCL) التى أحدثت نقلة نوعية فى الاهتمام بمجالات

الانثروبولوجيا الاجتماعية من خلال نشر ثقافة البحث التى تتم بمشاركة أعضاء هيئة التدريس والهيئات الحيوية والعالمية وكذلك طلاب الدراسات العليا وعدد متزايد من الباحثين بعد الدكتوراه المرتبطين بعدد من المشاريع البحثية التي تديرها المؤسسات الأكاديمية حيث يتم تقديم مجموعة كاملة من الأبحاث المتنوعة بمجال الانثروبولوجيا الاجتماعية، نجد أيضا عددًا من الدراسات القائمة على المجتمع والثقافة البريطانية بالاشتراك مع Lab .UK هناك أيضا منصة الأبحاث المشتركة بين الأقسام فى جامعة كاليفورنيا وبين قسم الأنثروبولوجيا المعنى بدراسة الأنثروبولوجيا فى المملكة المتحدة كذلك الاستفادة من توثيق العلاقة مع دراسات الثقافة المادية والأنثروبولوجيا الطبية وعلوم الكمبيوتر والفيزياء الفلكية فى نقلة نوعية لتطور مجالات البحوث الانثروبولوجية إلى جانب التمسك بنمط الدراسات الحقلية المعنية بموضوعات جاذبة لميول الباحثين الانثروبولوجيين منها دراسة المناطق التقليدية سواء الريفية أو الصحراوية كبحوث المرأة والأسرة وغيرها من مجالات بحثية ترتبط ارتباطا مباشرا بالأنساق المشكلة للبناء الاجتماعى والتى تحرص الدراسات والبحوث الانثروبولوجية على استيفائها مع ما يطرأ على المجتمعات من تحولات نوعية والتى لن ترصد إلا من خلال البحوث الحقلية المتعمقة والتى يحرص الباحثون على توظيف ما تتميز به الانثروبولوجيا من خصائص أثناء التطبيق الميدانى.

خصائص تميز علم الانثروبولوجيا

من المتعارف عليه أن لكل علم خصائص تميزه عن غيره من العلوم، وقد حظيت الانثروبولوجيا بعدد من الخصائص التى اتفق على وصفها من قبل الرواد الأوائل للأنثروبولوجيا منها:

- الشمولية Inclusiveness حيث يحرص الانثروبولوجي عند التطبيق أن تشتمل الدراسة على كل ما يتعلق بالإنسان سواء ما يتعلق بالبيئة الطبيعية أو الجوانب البيولوجية والثقافية، وكيف أن للجانب البيولوجى والجانب الثقافى تأثيرًا كبيرًا على تكوين الإنسان وتحديد ملامحه التى تميزه عن غيره من البشر وكيف يولد هذا التباين بين المجتمعات تنوع فى السلالات والأجناس البشرية.
- كلى تكاملى Holistic integrative عند دراسة النوع الإنسانى خاصة ما يتعلق بالجوانب الثقافية أى النسق الثقافى يهتم الباحث الانثروبولوجى بدراسة الجانب الثقافى بكل ما تحتوى عليه الثقافة من أجزاء مادية وغير مادية، وهو ما أكد عليه العالم روبرت تايلور الملقب بأبو

الثقافة عندما عرف الثقافة بأنها ذلك الكل المتكامل من الأعراف والشعائر والممارسات واللغة والأساطير والأعراف والقيم والعادات والتقاليد والقوانين والأفكار وكل ما يمارسه السكان داخل بيئتهم وتشكل نمطا متمايزا .

- الدراسات الحقلية Field study فعلم الانثروبولوجيا على الرغم من كونه من العلوم الإنسانية والمتعارف عليه أن العلوم الإنسانية هى فى الغالب علوم نظرية فإن الانثروبولوجيا تعّد من العلوم العملية التطبيقية التى تعتمد على إجراء الدراسات الميدانية والمكوث فى مجتمع الدراسة فترة كافية والتعايش مع أعضاء مجتمع الدراسة، بل وتعلم لغة الأهالى، كما أكد عليه العالم مالينوفسكى عند وضعه لشروط إجراء الدراسة الحقلية والتى تطبق إلى الآن ومن تلك الشروط: المكوث فترة طويلة فى منطقة الدراسة، تعلم لغة الأهالى، التعايش الكامل مع أعضاء المجتمع تدوين المذكرات اليومية، الدراسة التكاملية لجميع الأنساق المشكلة للبناء الاجتماعى،عقد المقارنات بين الجماعات السكانية للوقوف على الاختلافات بين الجماعات الإنسانية، الاستخدام الدقيق لأداة الملاحظة بأنواعها، تنظيم المقابلات المتعمقة وتكرارها.
- الحضارة Civilization يدرس علماء الأنثروبولوجيا ثقافات العديد من المجتمعات في تاريخ الإنسانية، حيث إن الثقافة هى المكون الأساسى لدراسة الأنثروبولوجيا ونظرا لأن الثقافة هى الهيكل التنظيمى لمجموعة من الناس وتنطوى على نظام من الرموز التى تساعد على تنظيم قيم المجموعة وطرق تصرف الأفراد مع المجتمع فإن مراحل بناء حضارة الجماعات الإنسانية وطرق الحفاظ عليها وكل ما يتعلق بمنتجات البشر المادية فى حقبة زمنية محددة هى ما يطلق عليها حضارة الشعوب، ونظرا لأن الحضارة تعد الوجه الآخر للثقافة ولأن اهتمام الانثروبولوجيا ينصب على كل ما يتعلق بالثقافة فجميع ما ينتجه المجتمع ويخلده يعد حضارة.
- المقارنة Comparison من أهم خصائص الانثروبولوجيا حيث تعتمد الدراسات الاثنوجرافية على وصف ثقافات الشعوب ومقارنتها على مستوى المناطق والجماعات الأخرى لتبيان مظاهر الاختلاف بين الشعوب وأسباب ذلك الاختلاف وتحديد ملامح كل منطقة وتمييزها عن المناطق الأخرى. وهنا يأتى دور الاثنولوجيا وما يتم من خلال الاعتماد عليها من تجميع ووصف ومقارنة ثقافات الشعوب وتحديد سمات كل منطقة على حدة.
- الفضولية Inquisitive يطرح الانثروبولوجي أنواع كثيرة من التساؤلات منها ما هو عام حول الثقافة الإنسانية ككل مثل طبيعة العمل، تقسيم العمل، الموارد الطبيعية، بداية معرفة الناس

بالزراعة فكرة تنظيم المجتمعات، الاختلاف بين نمط الإقامة بالريف والمدن وغيرها من القضايا المجتمعية العامة، وهناك من التساؤلات المحدودة والمتعلقة بأسلوب حياة مجتمع من المجتمعات محل لدراسة ومحاولة رصد انساق البناء الاجتماعى بشكل منهجى ومنظم ويجب أن يحصل الباحث على إجابات مستفيضة عن تلك الأسئلة وما يطلق عليها الاستفهامات الخمس لماذا، كيف، أين، متى، ولمن.

- علم تركيبى Synthetic science يركز الهدف الأول من الدراسات الانثروبولوجية على عملية تجميع وتنسيق المعارف المتعلقة بثقافات الشعوب والتعرف على جوانب المعرفة المختلفة إلى جانب ربط المعرف بعضها ببعض بحيث يقوم الباحث الانثروبولوجي بوضع الحقائق بنظام معرفى متكامل(١٧).

تجدر الإشارة إلى أن إسهامات عالم الانثروبولوجيا الاجتماعية برونسلاو مالينوفسكى فى إرساء قواعد المنهج الانثروبولوجى عند وضعه لشروط إجراء البحوث الانثروبولوجية قد أحدثت نقلة نوعية فى أساليب جمع المادة الميدانية وفى مقدمتها الدراسة الحقلية، الملاحظة بأنواعها المباشرة المشاركة، تسجيل وتدوين الأحداث اليومية وخطوات تحليل وتفسير المادة الميدانية وفق إطار منهجى قائم على توظيف نظرى مناسب لطبيعة الموضوعات المدروسة على أن يتم ذلك من خلال تصميم أداة التطبيق الأساسية وهى دليل العمل الميدانى، فعلى الباحث عند اختيار منطقة ما للدراسة أن يقوم بتصميم أداة جمع المادة الميدانية وهى محاور يتضمنها الدليل تخدم أهداف الدراسة وتشتمل على عناصر ترتبط بمكونات الأنساق الاجتماعية، فإن كانت البحوث التطبيقية فى علم الاجتماع تعتمد على تصميم استبيان فإن الدراسة الحقلية الانثروبولوجية تعتمد على آليات مغايرة فعلم الاجتماع يعتمد على المنهج الكمى الإحصائى فى حين الانثروبولوجيا تعتمد على المنهج الكيفى التحليلى.

الأنساق الانثروبولوجية الكلاسيكية

لقد اتسع نطاق الانثروبولوجيا كعلم واتضحت ملامحه وخصائصه مما استدعى التوسع فى الفروع العلمية التى تندرج من علم الانثروبولوجيا والتى يفضل الانثروبولوجيون تعريفها بالأنساق الانثروبولوجية منها الأنساق الانثروبولوجية الكلاسيكية والتى حرص الرواد الأوائل على دراستها كالنسق السياسى، النسق الاقتصادى، النسق الدينى، نسق القرابة، ويجب التنويه أن دراسة تلك

الموضوعات فى البدايات الأولى للدراسات الحقلية داخل المجتمعات البدائية كان فى صورة دراسة نظم متواجدة داخل تلك المجتمعات وتمارس بشكل يومى بل وتشكل نمطًا معيشيًا وفق قواعد تنظيمية خاصة، لقد تم نعت تلك الجماعات بالبدائية إلا أن ما يحمله أعضاء المجتمع من أفكار، قيم، معتقدات، أنماط تفكير، تعكس نظاما شديد الدقة والحرص على عدم مخالفة معتقدات الجماعة وتطبيق صور الضبط الاجتماعى على الرغم من عدم وجود السلطة الرسمية، وهذا دليل على ثراء تلك المجتمعات بما تمتلكه من ثقافة وما تطبقه من نظم وعليه فبداية اهتمام الباحثين جاء فى مرحلة أولية لدراسة صور أو أشكال الحياة اليومية، ونظرا لالتزام أعضاء تلك المجتمعات بهذه الممارسات والسلوكيات، فهى بمثابة نظم حتى أطلق عليها النظم الاجتماعية أو الأنساق وما تتضمنها تلك الأنساق من عناصر وأجزاء يكتمل من خلالها البناء الاجتماعى فيما يتعلق بالأفرع الكلاسيكية للأنثروبولوجيا فسوف نعطى نبذة عن مفهوم كل من النسق السياسى، الاقتصادى والقرابة.

- النسق السياسى: تهتم الانثروبولوجيا السياسية بدراسة النظم السياسية والأحكام وصور الانضباط كأحد الأسس المهمة فى بناء المجتمعات. لقد اهتمت الدراسات والبحوث الانثروبولوجية بالوقوف على الاختلافات بين المجتمعات فيما يتعلق بالسلطة والزعامة والمكانة، وهل ترتكز تلك النظم على محددات بعينها ليتمكن الفرد أو الجماعة من الاستحواذ على السلطة السياسية؟ "لقد أجاب رواد الانثروبولوجيا السياسية من أمثال لويس مورجان وهنرى مين على العديد من التساؤلات حول مفهوم السياسية خاصة وأن المجتمعات التقليدية تفتقر إلى السلطة الرسمية أو الحكومة المركزية فكيف نجحت فى إدارة شؤونها السياسية؟ فمنذ بدايات القرن التاسع عشر وإسهامات الباحثين لا تتوقف عن الوصول لفهم طبيعة النظم السياسية كيف بدأت وأسس تطورها لقد أوضح العالم ايفانز بريتشارد بمعاونة العالم فورتيس فى مؤلفه النظم السياسية الافريقية آليات الأمور السياسية وإيضاح للنظام السياسى فى تلك المجتمعات وكيف أن هناك جوانب يغفلها الرجل الأوربى عن كيفية إدارة السكان لشئونهم[١٨].

فالأنثروبولوجيا عند دراسة النظام السياسى تعنى الفكرة التى يضيفها الآخرون عن العلاقة بين الأفراد والجماعات وعن علاقة الأفراد بالأشياء فمن خلال البحث فى كيفية التحكم فى التنوع تستمر إسهامات الانثروبولوجيا فى دراسة التاريخ الخاص بالجماعات وكذلك دراسة

حاضرها فهى دراسات يمكن أن نطلق عليها تعددية، مغايرة وهوية فمن خلال تلك المنظومة تتشكل القوى السياسية داخل المجتمعات[١٩].

وعليه يمكن القول إن هناك دورًا تلعبه المكانة والثروة الاقتصادية، وما تمتلكه القبلية أو الجماعة دور مهم فى تحديد أشكال النظام السياسى وأحقية إصدار التعليمات وتطبيق صور الضبط الاجتماعى، يساعد تاريخ وإنجازات الجماعة أو بعض أفرادها فى احتلال مكانة متميزة كما أن النظام السياسى فى تلك المجتمعات يختلف عما هو موجود بالمجتمع الغربى لذلك لا تصلح المقارنة أو الحكم على تلك المجتمعات بأنها تفتقر إلى النظام السياسى، أيضا للمكانة الدينية دور مهم فى احتلال رجل الدين أو المعالج الشعبى مكانة خاصة تصل إلى فرض العقوبات والأحكام، أن القدرة على نجاح صفقات التبادل الاقتصادى بين الجماعات والحفاظ على الثروات من دلالات القدرة السياسية وعليه فالنظام السياسى داخل المجتمعات التقليدية يهدف إلى تحقيق الضبط الاجتماعى داخل الجماعة وخارجها.

ومع التطور الذى طال المجتمعات وتغير ملامح المجتمعات التقليدية وإسهام المنهج الانثروبولوجي واستمراريته فى الوقوف على طبيعة المجتمعات فهناك العديد من القضايا التى تدخل فى نطاق النسق السياسى فى الوقت الراهن منها، الأحزاب السياسية، العملية الانتخابية، والتصويت، ومكانة المرأة السياسية، ونظم الحكم فى القرى والمجالس المحلية وغيرها من الموضوعات السياسية التى تتوافق مع طبيعة المجتمعات المدنية.

- النسق الاقتصادى: يعد النسق الاقتصادى أحد الأنظمة التى تحاول تفسير الفكر الاقتصادى والسلوك البشرى تجاه المعاملات الاقتصادية لقد ارتبط النسق الاقتصادى بظهور الانثروبولوجيا الاجتماعية من خلال إسهامات رائد الانثروبولوجيا الاجتماعية مالينوفسكى من خلال دراساته عن النظم الاقتصادية فى المجتمعات البدائية خاصة نظام التبادل الاقتصادى "نظام الكولا" داخل قبائل التروبرياند ١٩٢٢، أوضح مالينوفسكى أن النظم الاجتماعية داخل المجتمعات البدائية، نظم متداخلة ومترابطة فالنظام الاقتصادى يرتبط ارتباط وثيق بالنظام السياسى من خلال القوى والزعامة كما يرتبط بالشعائر الدينية والممارسات السحرية، هناك أيضا إسهامات العالم مارسيل موس ودراسته عن النظام الاقتصادى القائم على الهدايا عام ١٩٢٥، والذى أوضح فى كتابه الهدية كيف أن الهدايا تلعب دورا هاما فى بناء النظام الاقتصادى داخل تلك الجماعات، وكيف أن طبيعة جماعات القرابة تؤثر على النسق الاقتصادى، حيث تختلف قيمة

الهدية الاقتصادية داخل الجماعات أبوية النسب أو الذكورية والجماعات أموية النسب أو الأمومية .فالملكية الاقتصادية النسائية ثابتة قوية عكس الملكية الاقتصادية الذكورية [٢٠].

وهذا دليل على مكانة المرأة فى تلك المجتمعات، يشير أحمد أبو زيد فى كتابه البناء الاجتماعى أن نظم الملكية تشغل مركزا رئيسيا فى الدراسات الانثروبولوجية التى تعالج الأنساق الاقتصادية فى المجتمعات البدائية ليس فقط لأهميتها الاقتصادية وإنما للدور الذى تلعبه فى النظم الاجتماعية والسياسية. ففى الكتابات التى توجه الأبحاث الانثروبولوجية الحديثة يقتصر موضوع الاقتصاد على دراسة الإنتاج والتوزيع والاستهلاك، بينما تظهر الملكية تحت موضوع التنظيم السياسى والقانون والعدالة وهو ما يلفت الانتباه إلى طبيعة وكيفية تشكيل الفكر الانثروبولوجى، وبالقياس على طبيعة المجتمعات الحالية فتهتم الدراسات الانثروبولوجية المعنية بالنسق الاقتصادى بالموضوعات المتعلقة بالاستهلاك الإنفاق، احتياجات سوق العمل، أنواع التجارة، آليات البيع والشراء، العمالة، الادخار والاستثمار الملكية والريع وغيرها من الموضوع الاقتصادية داخل المجتمعات المحلية[٢١].

- نسق القرابة: البشر بطبيعتها مخلوقات اجتماعية ولكى تستمر الجماعات يجب أن يكون هناك نوع من الترابط عن طريق المصاهرة والزواج، كروابط الدم أو عن طريق الصداقة والعلاقات الاجتماعية وفى العادة فإن القرابة ترتبط بالعوامل البيولوجية وتتحدد طبيعة القرابة من خلال الزواج، الإنجاب [٢٢].

إلا أنه فى الدراسات الانثروبولوجية لنظام القرابة نجد أن العوامل البيولوجية ليست حتمية فى تحديد طبيعة القرابة، فهى ظاهرة سوسيولوجية ترتبط بظاهرة بيولوجية، إلى جانب أن نظام القرابة يختلف باختلاف البناء الثقافى للمجتمعات، لقد أدرك الانثروبولوجيون الاجتماعيون أهمية دراسة نظام القرابة فمن خلالها يمكن فهم طبيعة البناء الاجتماعى للمجتمع.

لقد حدد علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية ما هى الموضوعات التى يجب على الباحثين تناولها عند محاولة التعرف على البناء العائلى للجماعات منها ما يتعلق بالزواج، الأسرة، الإنجاب الطلاق التنشئة، علاقات المصاهرة، الفروق بين الجنسين، التعددية، من العلماء الذين أسهموا فى تحديد مفهوم واضح للقرابة العالم الفريد كروبر من خلال دراساته المتعددة على معايير تكوين جماعات القرابة فى عدد من الجماعات البدائية، وقد توصل كروبر إلى أهمية الوقوف على طبيعة البناء العائلى لما له من دلالة على طبيعة البناء الثقافى لتلك المجتمعات، فما يحدد البناء العائلى

ليست العلاقة البيولوجية فقط بل يتم تكوينه وفقا لثقافة المجتمع وما يمكننا الوصول من خلال نسق القرابة من التعرف على الخصائص السكانية للمجتمع.

لقد وجه الفريد كروبر اهتمام الباحثين إلى دراسات تختص بالزواج، فمن المعروف أن لكل مجتمع نظمه الثقافية التى تشكل عاداته الاجتماعية فهناك الزواج الفردى، التعددى، الجمعى ويرى العالم لويس مورجان أن الزواج الفردى يعد من الظواهر الحديثة، أما أنواع الزواج الأخرى فهى الأكثر انتشارا فى الجماعات التقليدية، من الموضوعات التى تجذب اهتمام الباحثين أيضا أنواع الأسر ومنها الأسرة النواة، الأسرة النووية الممتدة، الأسرة المشتركة أيضا النظام المعيشى ونوع الإقامة والسلطة داخل الأسرة لقد قدم كروبر ما أطلق عليه أسس تصنيف القرابة التى يسترشد بها الباحثون عند التطبيق الميدانى والتى تتضمن ثمان أسس هى التصنيف حسب الجيل، العمر، المكانة، أنواع الجماعات، نوع المتكلم، همزة الوصل، نوع القريب، طبيعة القرابة مباشرة أم غير مباشرة[٢٣].

من الموضوعات التى تهتم بها انثروبولوجيا القرابة أيضا ما وراء الظاهر داخل المجتمعات التقليدية من أفكار وممارسات تتعلق بالجندر. وإن كان مصطلح الجندر حديث العهد فى الأوساط العلمية إلا أن الدراسات الانثروبولوجية قد تناولت العديد من الموضوعات التى يتم تناولها فى الوقت الراهن ونطلق عليها موضوعات وقضايا معاصرة، فقد كان للدراسات الانثروبولوجية الاسبقية فى البحث و الكشف عن التمييز بين الجنسين ومكانة المرأة ودراسة خصائص المجتمع الذكورى، كذلك هيمنة السلطة داخل الأسرة، اهتمت الانثروبولوجيا أيضا بتناول المسكوت عنه من الموضوعات مثل زنا المحارم، المعتقدات الغيبية وغيرها من الموضوعات وذلك دلالة على وعى وأهمية وملائمة ذلك التخصص لدراسة موضوعات قد تعجز التخصصات الأخرى فى الكشف عن حقيقتها ورسم واقع المجتمعات وملامحها الثقافية وطبيعة نظمها المجتمعية. فالأنساق الانثروبولوجية كبناء اجتماعى وما تحتوى على من عناصر وأجزاء مشكله لكل نسق على حده تجذب الدارسين والباحثون فى مجال الانثروبولوجيا فى وقتنا الحالى للتعرف على طبيعة تلك النظم ومكوناتها ومدى تكيف أعضاء المجتمعات المتباينة مع تلك الأنساق وكيف ينظم أعضاء المجتمع طرائق معيشتهم بما يتوافق مع طبيعة تلك النظم لاسيما الدراسات المقارنة التى تتناول موضوعات تتعلق بتلك الأنساق فى الماضى والحاضر، حيث تقدم بحوث واقعية عن تطور المجتمعات من خلال تطور الأنساق المكونة للبناء الاجتماعى ومن تلك الأعمال دراسات تتعلق بالأسرة بين

الماضى والحاضر، أشكال الزواج قديما وحديثا، الضبط الاجتماعى فى المجتمعات التقليدية، نظم التنشئة الاجتماعية، علاقة الرجل بالمرأة أمس واليوم، الزعامة والأحزاب والانتخابات، دور المرأة فى العملية السياسية نظم التبادل الاقتصادى، العولمة وتأثيراتها على الاقتصاد وغيرها من الموضوعات التى تزخر بها المكتبات العلمية.

مراحل تطور المنهج الانثروبولوجي

يرجع الفضل إلى عالم الانثروبولوجيا الاجتماعية برونسلاو مالينوفسكى فى تحديد ماهية المنهج الانثروبولوجى Anthropological approach ووضع شروطه الذى اضحي ميثاقا شرفيا يلتزم به الباحثون إلى وقتنا الحالى، وذلك عند عودته من إتمام المرحلة الأولى من بحوثه الانثروبولوجية بجزر المحيط الهادى لقبائل التروبرياند. يُعرف المنهج الانثروبولوجى بالمنهج الكيفى Qualitative approach أو النوعى وأن كان مصطلح الكيفى هو الأكثر استخداما والذى يمكن تعريفه بإيجاز أنه الطريقة العلمية المنظمة التى يتبعها الباحث الانثروبولوجى عند إجراء دراسته الحقلية على جماعة ما من سكان منطقة محددة والتى يحاول من خلال المدخل الانثروبولوجي استخدام الأساليب والأدوات الانثروبولوجية بصورة مستمرة ومتعمقة فى محاولة لتفسير البناء الاجتماعى وتحليل عناصره[٢٤] .

إن مصطلح كيفى qualitative فى الدراسات الانثروبولوجية يعنى التفسير والتحليل لطبيعة حياة الجماعات الإنسانية من خلال الإجابة على الخمس الكيفية وهى كيف، وأين، ولمن، لماذا، ومتى، بعيدا عن التحليل الإحصائى للمعلومات، كما هو متبع بالبحوث الاجتماعية الأخرى، فالتحليل الكيفى Qualitative analysis قائم على تطبيق محاور دليل عمل تتفق محاوره مع أهداف الدراسة وللوصول لإجابات ودلالات تنقل الواقع الفعلى لطبيعة المجتمع المحلى يعتمد المنهج الانثروبولوجى على عدد من الأساليب التقليدية والتى لا غنى عنها فى البحوث التطبيقية إلى جانب ما تم استحداثه من أساليب وطرق مستحدثة.

أولا: الطرق الانثروبولوجية الكلاسيكية

- المقابلة المتعمقة in-depth interview: أحد الطرق الكلاسيكية التى يعتمد عليها الباحثون فى الدراسات الحقلية والتى تعتمد على اختيار جيد لمن تتم معهم المقابلة من أعضاء المجتمع وممن لديهم الدراية الكافية والوعى والخبرات بطبيعة المكان وأحوال السكان ولقبوا قديما من قبل

الرواد الانثروبولوجيين من أمثال بريتشارد، ماكس فيبر، مورجان، بواس، مارجريت ميد وغيرهم الإخباريون informants وقد حدد مالينوفسكى صفات الإخبارى على أن يكون من كبار السن[٢٥].

إلا أن هذا الشرط مع تطور نوعية البحوث الانثروبولوجية والقضايا التى تتناولها قد تم التجاوز عنه حتى أن مصطلح "الإخباريون" لم يعد كثير الاستخدام وتم تبديله بمصطلح أعضاء المجتمع المحلى فى المرحلة الكلاسيكية من تطبيق تلك الأداة كان الاعتماد كليا على إجراء مقابلة فردية ومع تطور المنهجية أصبح هناك استخدام جديد لأداة المقابلة وهى focus group discussion.

- الملاحظة observation هى تسخير حاسة البصر لدى الباحث فى تسجيل بصرى وذهنى لكل ما يحيط بمنطقة الدراسة أثناء المقابلة. وهى لها عدة أنواع ويتوقف اختيار أداة الملاحظة المناسبة وفقا لطبيعة الدراسة، فهناك الملاحظة المباشرة، الملاحظة بالمشاركة، وللاعتماد على أداة الملاحظة يجب تدريب الباحث الانثروبولوجى بشكل جيد –حتى يتمكن من إتمام العمل– فمن المهارة إلا يستشعر أعضاء المجتمع بملاحظتهم حتى لا يتم تعديل سلوكياتهم، ولا تستدعى الملاحظة المباشرة المشاركة فى الأنشطة أو الحوار فى بعض الأحيان. أما الملاحظة بالمشاركة فيجب مشاركة أعضاء المجتمع فى كافة الأنشطة التى يقومون بها. يعد العالم مورتون ١٩٤١ أول من استخدم أسلوب النقاش البؤرى فى جامعة كولومبيا عند استخدام الراديو ومناقشة السكان الأصليين فى موضوع البرنامج الإذاعى وكان عن العنصرية.
- دراسة الحالة case study والتى أثير حولها الكثير من المناقشات حول ماهية دراسة الحالة هل هى منهج أم أداة؟ حيث يصفها بعض الباحثين بأنها أداة والبعض منهج، وإن كانت الباحثة تميل إلى كونها أداة وليست منهج، ذلك أن المنهج يتطلب توفر عدد من الأساليب والأدوات عند تطبيقه وهو مالا يتوفر بدراسة الحالة، حيث لا يندرج منها عدد من الأدوات. تمت الاستعانة بدراسة الحالة فى العديد من البحوث القديمة والمعاصرة وتبدو أهميتها فى مساعدة الباحث الانثروبولوجى فى القيام بعملية التأريخ من خلال اختيار أحد الشخصيات ذات التأثير فى المجتمع، وتناول كل ما يتعلق به وبأدواره، وانعكاس ذلك على المجتمع، ثم اتسع مجال استخدام تلك الأداة لكى تطبق على المؤسسات ذات الصلة بالنظام الاجتماعى.

ولا شك أن أساليب الدراسة الحقلية الكلاسيكية تعد عملا شاقا للباحثين، إذ يتطلب المكوث فترات طويلة فى الميدان وجمع كم هائل من المعلومات ثم مراحل تصنيفها وترميزها وتحليلها وفق توظيف نظرى محدد مرورا بمراحل إعداد التقرير المبدئى ثم النهائى مما دع العلماء إلى تطوير المنهج والأساليب، فعملية التطوير لم تقتصر على أدوات جمع المادة العلمية أو ما اعتاد الانثروبولوجيون على تعريفها بالمادة الميدانية، بل على وسائل التحليل فمن المتعارف عليه أن التقرير النهائى للدراسة الانثروبولوجية يمر بعدة مراحل وتستغرق كل مرحلة إعداد خاص للباحث ووقت ليس بقصير تبدأ بتجميع المعلومات من منطقة الدراسة، تم مرحلة تصنيف المعلومات تبعا للموضوعات، تليها مرحلة الترميز لكل محور على حدة، ثم مرحلة تحليل البيانات تحليلا متعمقا. وقد يستعين الباحث المدرب فى مرحلة كتابة التقرير النهائى للدراسة بمنهج تحليل المضمون بهدف الوصول إلى تصور كلى تكاملى للبناء الاجتماعى لمجتمع الدراسة مع الالتزام بتطبيق خصائص الانثروبولوجيا كعلم(٢٦).

ثانيا: الطرق الانثروبولوجية الحديثة

أما عن الطرق الحديثة فهناك ومنذ بداية الثمانينيات هناك محاولات لتطوير الأساليب المنهجية فى البحوث الانثروبولوجية، ويرجع السبب فى محاولات التطوير إلى دخول الدراسات الانثروبولوجية مجالات بحثية جديدة مثل: مجال الأسرة والطفولة، قضايا المرأة والشباب، قضايا الصحة والمرض، الغذاء، والسكن الصحى، بحوث فى مجالات الرياضة، البيئة، الجريمة الإعلام والميديا، التعليم وغيرها من المجالات التى تستوجب تطوير الأساليب الإجرائية والتى منها:

- طرق التقييم السريع rapid assessment procures يرمز إليها R.A.P حيث تهدف إلى تقييم للأوضاع المراد دراستها فى فترة وجيزة لا تتعدى أسابيع معدودة بهدف تحقيق الأهداف وتقييم المخرجات ورفع التقارير بصورة سريعة تحقيقا لاختصار الوقت وتقليل الميزانية، حيث أثبتت تلك الأدوات نجاحها وتم اعتمادها من قبل منظمة اليونيسف كأحد الأساليب المعتمدة فى دراسة القضايا المتعلقة بالصحة، المرض، التغذية وإسهامات البحوث الانثروبولوجية فى تطوير وسائل تقديم الرعاية وتحسين الخدمة إلى جانب تحقيق أهداف التنمية التى أصبحت برامجها تعوّل على البحوث الانثروبولوجية بشكل قوى على المستوى العالمى.

- جماعات النقاش البؤرى focus group discussion أحد الأساليب البحثية التى يرمز إليها F.G. D تعرف بالطريقة الأمريكية، نظرا لخروجها من المدرسة الأمريكية تم استخدامها بالبحوث الصحية ثم تداول تطبيقها فى العديد من المجالات البحثية الأخرى، حيث ترتكز على تشكيل جماعة نقاش من أعضاء المجتمع موضع الدراسة من٤-٦ أو من٤-٨ أشخاص وتشترط تلك الأداة التجانس فى الجلسة من حيث الجنس، العمر، المستوى الثقافى، الحالة الاجتماعية[٢٧].
- التوثيق المرئى visual documentation أسهمت الانثروبولوجيا الثقافية بشكل كبير فى حث الباحثين على تطوير أدوات جمع المادة الميدانية من المناطق والمجتمعات المتباينة، ونظرا لما يمتلكه سكان تلك المناطق من ثروات ثقافية سواء مادية أو شفاهية ومحاولة الكشف عن العلاقة بين الإنسان والأشياء فقد تمت الاستعانة بالأجهزة المرئية الحديثة فى حفظ وتوثيق المواد التراثية مما ساعد على إنشاء المتاحف الانثروبولوجية وإحداث نقلة نوعية فى الحفاظ على التراث من الاندثار [٢٨].
- التحليل البعدى META analysis أحد الطرق الحديثة التى تعتمد على فحص البيانات من عدد من الدراسات المستقلة لنفس الموضوع من أجل تحديد الاتجاهات العامة ساعدت تلك الطريقة عن تحقق فكرة تكامل العلوم والتخصصات[٢٩].

إن اختلاف منهجية العلوم لا ينفى تكاملها، فالبحث الأنثروبولوجى يعتمد على المنهجية الكيفية القائمة على التحليل والتفسير النوعى للبيانات والأحداث التى تمت ملاحظتها وتحدث عنها أعضاء المجتمع، وكذلك تفسير للأفكار والرؤى والمعتقدات وهو ما يستلزم التواجد فترات كافية فى الميدان مع استخدام مهارات الباحث الانثروبولوجي فى الحوار والتسجيل وتدوين الملاحظات والمشاركة، وهو ما لا نجده فى بحوث العلوم الأخرى التى لا تمتلك مهارة البحث الانثروبولوجى وتعتمد كليا على التحليل الكمى أو الإحصائى وتوزيع الاستبيانات على المؤسسات أو الأفراد بدون المعايشة الكلية التى يمكن من خلالها التعرف على الأسباب ورسم صورة واقعية للمجتمعات.

لا شك أن تلك الخطوات المنهجية تستلزم وقتًا ومجهودًا كبيرًا من الباحث مما حث الباحثين على تطوير أساليب التحليل أيضا واستخدام التكنولوجيا الحديثة فى تحليل البيانات الكيفية منها:

برنامج MAXQDA وبرنامج NVIVO المجهز لمعالجة البيانات والقيام بتصنيفها وتنظيمها بصوره تسهل على الباحثين كتابة التقارير النهائية.

لقد ساعد تطور المنهج الانثروبولوجي من حيث الأساليب وطرق التحليل إلى لفت الانتباه لهذا التخصص الدقيق الذى يمكن الاستعانة به فى التوظيف الجيد للتنمية الاجتماعية والمحلية للعديد من المناطق التى تسعى الدول والمنظمات إلى رفع كفاءتها الاقتصادية أو الصحية والثقافية مع توفر وتطوير خدماتها الأساسية فتم اللجوء خاصة فى الدراسات التنموية إلى متخصصين انثروبولوجيين للمشاركة فى هذه النوعية من الدراسات التنموية التى تسعى إلى تحقيق مخرجات واقعية للخطط التنموية.

علاقة الانثروبولوجيا الاجتماعية بالتنمية

هناك علاقة وثيق الصلة بين البرامج التنموية التى تهدف إلى رفع مستوى الخدمات سواء المتعلقة بالبنية التحتية من رصف طرق، وصلات كهربائية، خطوط مياه، شبكات صرف صحى وغيرها من أساسيات تطوير المجتمعات بما يلائم الحياة الآدمية للسكان وأيضا تنمية البنية الفوقية من وعى، تثقيف، تعليم، سلوكيات وغيرها من الروافد الثقافية التوعوية التى تشكل أسلوب متحضر لأعضاء المجتمع وهى جوانب لا تغفلها الدراسات الانثروبولوجية، من هنا تتضح العلاقة الوثيقة بين الانثروبولوجيا الاجتماعية والتنمية ونظرا لتقارب الموضوعات التى تندرج تحت مظلة الانثروبولوجيا الاجتماعية والتنمية، يمكننا إلقاء الضوء على ماهية التنمية الاجتماعية ومدى ارتباطها بالأنثروبولوجيا الاجتماعية.

فالتنمية الاجتماعية تركز بصورة أساسية على "وضع الناس فى عمليات التنمية فعلى سبيل المثال لا يعد الفقر مجرد دخل منخفض، بل يتعلق بالضعف والإقصاء تعزز التنمية الاجتماعية الدمج الاجتماعى للفقراء والضعفاء من خلال تمكين الناس وبناء مجتمعات متماسكة وقادرة على الصمود، وجعل المؤسسات فى خدمة المواطنين، إذ تحرص التنمية الاجتماعية على الأخذ بيد أصحاب العوز، المهمشين، أصحاب الحالات الخاصة من خلال العمل مع الحكومات والمجتمعات والمجتمع المدنى والقطاع الخاص من أجل رفاهية السكان الأصليين، والمعنى هنا لا يقصد به سكان المناطق البدائية أو التى لم يعد لها وجود ولكن حدد البنك الدولى وغيره من المنظمات المعنية بالشأن الاجتماعى أن السكان الأصليين هم قاطنى المناطق ذات الاحتياج أو المناطق الخطرة أو المهمشة وكذلك البعيدة. تترجم التنمية الاجتماعية العلاقة المعقدة بين المجتمعات والدول إلى عمليات تُظهر الأدلة التجريبية والخبرة العملية إن التنمية الاجتماعية تعزز النمو الاقتصادى

وتؤدى إلى تدخلات أفضل وجودة حياة أعلى بتحقق المعايير الأربعة للتنمية الاجتماعية: السكان، الكفاية، الحرية، المشاركة ولكى تتحقق نواتج التنمية الاجتماعية يجب العمل على تفعيل دور المشاركة بين مؤسسات المجتمع المدنى وبين القطاع الحكومى، فلم تعد المشروعات التنموية وتحسين الأداء منوط بالحكومات والأجهزة الرسمية بل بالتعاون بين القطاع الأهلى والرسمى إلى جانب فتح مجال التدريب على آلية العمل التطوعى والأخذ بتجارب الدول الناجحة، لقد أكد الباحثون فى مجال الدراسات التطبيقية والتنموية أن التنمية الاجتماعية تتشابك، بل ويرتبط تحقيقها بالتنمية الاقتصادية وهى العملية التى يتم من خلالها تحويل الاقتصاد الوطنى البسيط المنخفض الدخل إلى اقتصاد صناعى حديث، وعلى الرغم من استخدام المصطلح كمرادف للنمو الاقتصادى فإنه يُستخدم بشكل عام لوصف التغيير فى اقتصاد البلد الذى يهدف على تحسينات نوعية وكمية، يقوم مفهوم التنمية الاقتصادية على تحقيق هدف واحد هو تحول المجتمعات منخفضة الدخل إلى مجتمعات مزدهرة اقتصاديًا ذات دخل مرتفع هى، أيضا العمليّة التى بمقتضاها يتمّ الانتقال من حالة التخلّف إلى حالة التقدّم، وما تحتاج إليه تلك المرحلة من إحداث تغيرات فى الهيكل الاجتماعى ومن أجل تحسين التوزيع والإنتاج العائد وانتقال الفقراء إلى مكانة معيشية أعلى(٣٠).

إن مقياس التنمية هو تحسين جودة الحياة، التى تتضمّن أكثر بكثير من مجرّد ارتفاع الدخل، لتشمل موضوعات مهمّة نسبيّاً مثل تعليم أفضل، مستويات أعلى من التغذية والصحة، وفقر أقلّ، وبيئة أنقى، وتوازن أكثر، ومساواة فى الفرص، وحرّيّة شخصيّة وفرديّة أكبر، وحياة أغنى بالثقافة، وهى معايير اجتماعيّة لا بدّ أن تسير جنباً إلى جنب مع عمليّة التصنيع، الذى يضمن تلبية تلك الحاجات الأساسيّة، لذلك فالعلاقة بين الانثروبولوجيا والتنمية علاقة معقدة، وعلى الرغم أن موضوع التنمية من الموضوعات التى ظهر الاهتمام بها فى كثير من التخصصات حديثًا إلا أن للأنثروبولوجيا الاجتماعية مجالا واسعا فيما يختص بالتنمية، وذلك من خلال بحوث الانثروبولوجيا التطبيقية التى بدأت على يد كل من مالينوفسكي وايفانز بريتشارد(٣١).

لقد تفوق علماء الأنثروبولوجيا فى تقديم انتقادات للتنمية والمساعدات الإنسانية وكشفوا عن عدم المساواة فى القوة والعواقب غير المقصودة، وذلك من خلال البحوث التى تتم فى مناطق العالم الثالث أو المجتمعات النامية ولعل أسباب توجيه تلك الانتقادات ما يلمسه الباحث الانثروبولوجي من غياب العدالة فى توزيع الخدمات، تهميش بعض المناطق، وغياب التنمية المحلية عنها، تباطؤ

الجهات المعنية فى تنفيذ مخططات التنمية، عدم استغلال الخبرات التقليدية لأعضاء المجتمع استغلالا جيدا فى تحقيق المشاركة المحلية والتى تعد من أسس التنمية الاجتماعية والاقتصادية[٣٢].

إن الحاجة إلى التنمية من الرؤية الانثروبولوجية لا تنصب فقط على توفير الخدمات لبعض الجماعات بالمناطق الفقيرة وتوفر الخدمات وتحسين المستوى المعيشى للأفراد، وهو ما تسعى إليه الكثير من المنظمات كمنظمة الصحة العالمية وما تقدمه من دعم للبحوث والدراسات الانثروبولوجية فى الكثير من البلدان هناك على سبيل المثال البرنامج الإنمائى للأمم المتحدة وما يقوم به من دعم للبرامج التنموية فى دول العالم الثالث من رفع شأن المرأة وتمكينها، ومساعدة الأسرة الفقيرة على تحصيل دخل ثابت، تنمية المهارات وتنفيذ المشروعات الصغيرة. وإذا انتقلنا من مستوى تنمية الأفراد إلى مستوى تنمية المكان نجد العديد من المشروعات الكبرى المعنية بتحقيق استراتيجية وخطط التنمية منها إعادة تخطيط المدن وبناء مجتمع قائم على استغلال الفرص والإمكانات وابتكار بدائل.

هناك جانب آخر لا يقل أهمية عما سبق طرحه إلا وهو تنمية الفكر وقبول الآخر، حيث يسعى علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية لفهم كيف يعيش الناس فى المجتمعات وكيف يجعلون حياتهم ذات معنى، الاهتمام بكيفية تنظيم المجتمعات؛ العلاقة بين القيم والسلوك، لماذا يفعل الناس ما يفعلونه، وطبيعة العلاقة بين المؤسسات التنظيمية وأعضاء المجتمع، فهناك ما يسمى فى الانثروبولوجيا (بالرقيب المشترك) حيث تمنحك دراسة الأنثروبولوجيا نظرة ثاقبة حول ما يجعل الناس يقررون ومركزية الثقافة فى تحفيز العمل الاجتماعى والاقتصادى كذلك مستوى وجودة الخدمات، وذلك من خلال الدراسة الفعلية فى مكان وزمن محدد من خلال تطبيق مبدأ مراقبة المشاركين الذى تبدو أهميته عند مناقشة أسباب إخفاق أو نجاح برامج التنمية.

فمن الواضح أن العالم الذى نعيش فيه اليوم قد تغير وأن الأنثروبولوجيا تغيرت معه، فقد جعلت ثورة الاتصالات العالم مكانًا أصغر، وجعلت الهجرة الدولية إلى المجتمعات الغربية متعددة الثقافات أسهل، ومع ذلك لا يبدو أن "العولمة" تجعل العالم الذى نعيش فيه أقل تنوعًا ثقافيًا سواء كنا نقوم بعلم الإنسان فى قرية فى المملكة المتحدة أو فى بلدة جديدة مزدهرة فى بابوا بغينيا الجديدة، فإن دراسة طرق العيش المختلفة ورؤية العالم الآن أكثر أهمية من أى وقت مضى حيث يُنظر إلى الأنثروبولوجيا على أنها دراسة العادات والمعتقدات الغريبة للشعوب الأخرى فقط، وهذا

اختزال غير منطقى لعلم الانثروبولوجيا فان أحد الأهداف الرئيسية للأنثروبولوجيا هو فى الواقع جعل الغريب مألوف وهذا مبدأ من مبادئ التنمية[٣٣].

الانثروبولوجيا التطبيقية ومجالات البحوث التنموية

تعود الأنثروبولوجيا التطبيقية إلى بدايات العصر الكلاسيكى، فقد جمع المؤرخ اليونانى هيرودوتس (٤٨٥-٣٢٥ قبل الميلاد) المعلومات والبيانات عن الشعوب المجاورة فى منطقة حوض البحر المتوسط لصالح حكومته، بغية مساعدتها فى وضع السياسة الخارجية لليونان، وفى ظل هيمنة السياسة الإمبريالية ومفاهيم التوسع الجغرافى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أدركت الدول الغربية أهمية الاستفادة من الدراسات الأنثروبولوجية عن الشعوب والمجتمعات البعيدة لتمكينها من إحكام سيطرتها وضمان تطبيق استراتيجيات الهيمنة والاستغلال الاقتصادى المناسبة لها، ويُعد الأب جوزيف لا فيتو من أوائل الباحثين التطبيقيين فى أمريكا الشمالية الذى سافر إلى منطقة فرنسا الجديدة فى للعمل مبشراً فى أوساط هنود الإيروكوا وقد تمكن لا فيتو بفضل إقامته الطويلة هناك وتعرفه إلى ثقافة السكان المحليين وعاداتهم من جمع خبراتهم وتجاربهم ووضعها فى واحدٍ من أهم المؤلفات الاثنوجرافية "تقاليد الهنود الأمريكيين مقارنةً بتقاليد الشعوب فى الأزمان القديمة.

كما شهد النصف الأول من القرن التاسع عشر توسعا كبيرا فى دراسات الأنثروبولوجيا التطبيقية وبرامجها على المستوى الحكومى، خاصة تنفيذ البحوث الهادفة إلى تحقيق النقلة الصناعية فى بعض المجتمعات منها على سبيل المثال لا الحصر، عام ١٨٠٧ أخذت شركة الهند الشرقية قرارًا بتعيين الباحث فرانسيس بوخنان وتكليفه بمهمة دراسة شعب البنغال فى الهند دراسة اثنوجرافية بهدف البدء فى تنفيذ عدد من المشروعات الصناعية، وتم استغلال مساحة من الأراضى لإقامة أولى مصانع التبغ بالهند[٣٤].

كما جاءت إسهامات كل من فورتيس ١٩٥٣ وبحوث الجمعية الأمريكية التى شهدت صدور أول مجلة انثروبولوجية ١٩٦٢ إلى جانب تقارير الجمعيات لاثنوجرافية عن السكان الأصليين تنوعا فى مجالات الاهتمام وتغير النظرة من مجرد تقارير عن ثقافة تلك المجتمعات إلى رغبة فى تنفيذ مشروعات تنموية، حيث برز هذا الاتجاه لدى أعمال رادكليف براون، مالينوفسكى وايفانز بريتشارد، هناك العديد من الإسهامات الانثروبولوجية فى مجال تطبيق الدراسات والبحوث التنموية على المستوى العالمى من خلال ما تقوم به بعض من المؤسسات والمنظمات العالمية العاملة من أجل

تحسين المستوى الاجتماعى والاقتصادى لسكان المناطق الفقيرة أو المهمشة والمعرضة للخطر والتى يسهم برنامج الأمم المتحدة الإنمائى وما يصدر عنه من تقارير التنمية البشرية السنوية ونتائج لدراسات وبحوث واقعية من أجل الوصول لطبيعة واحتياجات السكان إلى جانب الحفاظ على موروثاتهم الثقافية.

فالأنثروبولوجيا التطبيقية تعنى تطبيق المعارف والطرق الأنثروبولوجية الخاصة بالبحوث التنفيذية، بهدف تنمية المجتمعات التقليدية أو المحلية بداية من التصدى للمشكلات والقضايا المجتمعية ووصولا إلى تحديد إمكانات تلك المجتمعات سواء الطبيعية أو البشرية، وكيفية الاستفادة من الخبرات التقليدية إلى جانب المعارف التكنولوجية مع تطبيق معايير التنمية بكافة صورها سواء الاجتماعية، أو الاقتصادية، إذ يتطلب العمل بالأنثروبولوجيا التطبيقية الإيمان بأهمية التنمية فى المقام الأول، الرغبة فى إفادة سكان المجتمعات البعيدة من خلال تطوير مواردهم، تحسين مستوى الخدمات التعليمية، والصحية والتثقيفية والترفيهية، بما يحقق لسكان تلك المناطق الرفاهية وتحسين نوعية الحياة، كذلك نجد إسهامات بحوث الانثروبولوجيا التطبيقية على مستوى المجتمع المصرى* والعديد من المشروعات التطويرية. فقد تم تنفيذ عدد كبير من المشروعات والبحوث الانثروبولوجية التطبيقية بما يتلاءم مع متطلبات العصر منها مشروعات تمكين المرأة فى المجتمعات الصحراوية نموذج للمرأة السينائية بشمال وجنوب سيناء والظهير الصحراوى للساحل الشمالى، ودراسات المرأة ببعض القرى المصرية. هناك أبحاث تطوير المدن الصغيرة وما تم من تنفيذه من مشروعات تنموية فى بعض المحافظات منها وادى النطرون، بلطيم، البحيرة من تطوير للخدمات، وتحسين الإسكان، وإقامة عدد من المشروعات الصغيرة هناك، أيضا دراسات تطوير العشوائيات والدور الانثروبولوجى الواضح للعيان من خلال الدراسات المتعمقة وغيرها من خدمات تطوير الصحة والحفاظ على البيئة، وقد أشرف على تلك الدراسات جهات رسمية وأكاديمية وعلى الرغم من قدم الانثروبولوجيا التطبيقية أو التنفيذية كما يطلق عليها بعض الباحثين واعتمادها على الأساليب البحثية الكلاسيكية،

* للمزيد من المعلومات يمكن الاطلاع على نتائج دراسات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، دراسات وبحوث. وأيضا برنامج استراتيجية تنمية المدن الصغيرة التابع للأمم المتحدة بالتعاون مع هيئة التخطيط العمرانى من ٢٠٠٩: ٢٠١٣.

إلا أنها من أكثر المجالات الانثروبولوجية التى شهدت نقلة نوعية واضحة فى مجالها وأساليبها، فحاليا يتم تطبيق ما يعرف:

- بمنظمة الممارسين المحليين (LPO) أبحاث العمل التشاركى (PAR) إجراءات التقييم السريع (RAP) بهدف تنمية المجتمعات اجتماعيًا، اقتصاديًا، صحيًا، وتطوير أداء العالمين والمنظمات فلم يعد الاعتماد على تسجيل المعلومات الاثنوجرافية فقط بل اسُتحدث العديد من طرق وأساليب البحوث التطبيقية[٣٥]. حيث يوظف علماء الأنثروبولوجيا التطبيقية المعرفة والمفاهيم والأساليب من خلال تخصصهم لمعالجة المشكلات الاجتماعية أو الاقتصادية أو الصحية المعاصرة التى تواجه المجتمعات أو المنظمات من خلال بدء التغيير الإيجابى، كما يحرص المتخصصين بالأنثروبولوجيا التطبيقية على تطبيق مبادئ ميثاق العمل الاخلاقى واتباع شروط أخلاقيات المهنة، كما يمكن القول أن مجال الانثروبولوجيا التطبيقية مرتبط ارتباطا وثيقا بكل فروع الانثروبولوجيا وغيرها من التخصصات العملية، فكثيرا ما يلجأ القائمون على المشروعات التطويرية التنموية إلى الباحث الانثروبولوجى للمشاركة فى رسم وتنفيذ المشروعات التنموية وتحقيق أهداف الخطط الاستراتيجية الموضوعة كل فى مجاله.

لقد تضمنت الانثروبولوجيا التطبيقية فى الوقت الحالى مجالات عديدة منها: التربية والتعليم والتحضّر والسُكان، والتنمية الاجتماعية والاقتصادية، خاصة تنمية المُجتمعات المحلية والمجالات الطبية والصحة العامّة، والنفسية، والإعلام، والاتصال، وبرامج الإذاعة، والفن، ومجال الفلكلور "التراث الشعبى" والمتاحف الإثنولوجية، إضافة إلى المجالات الصناعيّة والعسكرية والحرب النفسية، والسياسة ومُشكلات الإدارة والحكم، والجريمة والسجون وغيرها من المجالات التى تسعى لتحقيق التنمية وتحسين نوعية الحياة[٣٦].

هنا يمكن التأكيد على أن الانثروبولوجيا الاجتماعية كمجال رئيسى لعلم الانثروبولوجيا تعُد حقلا علميا وبحثيا مهمًا حيث تُعول عليه الدراسات للوقوف على طبيعة الأبنية الاجتماعية للمجتمعات ورسم صورة واقعية عن مراحل تطورها إلى جانب الدور الهام للبحوث التطبيقية فى تحقيق الأهداف التنموية سواء المجتمعات التقليدية أو المتحضرة، حيث لم تُعد الدراسات والبحوث الانثروبولوجية قاصرة على المجتمعات البدائية فقط، بل أصبح هناك اهتمام بالمجتمعات المتحضرة والقضايا المعاصرة.

خاتمة

من خلال التتبع لملامح تطور الانثروبولوجيا الاجتماعية: الموضوع، المناهج، المجالات والنشأة أن ندرك أهمية البحوث الانثروبولوجية فى المجالات المختلفة وكذلك العلاقة المنهجية بين الانثروبولوجيا والبرامج التنموية، حيث أسهمت الانثروبولوجيا الاجتماعية فى نشأة المشروعات التنفيذية التطويرية من خلال إسهامات الانثروبولوجيا التطبيقية هذا المجال العملى التنفيذى الذى يحول المادة التى تم الحصول عليها من الميدان أو كما يطلق عليها الانثروبولوجيين "المادة الميدانية الخام" إلى برامج ومشروعات تنموية. لقد سبقت الانثروبولوجيا الاجتماعية من خلال البحوث والدراسات التى تمت فى مجتمعات متباينة إلى جانب طبيعة الموضوعات التى تناولها الباحثون، المنظمات والهيئات الدولية التى أُسست فى العصر الحديث وتطالب بضرورة دراسة المجتمعات خاصة النامية للتمكن من رسم خريطة الاحتياجات وتنفيذ المشروعات التى تنهض بها اجتماعيًا، واقتصاديًا، وصحيًا، إن البحوث الانثروبولوجية لا تسعى فقط لجمع المعلومات الغريبة عن المجتمعات ذات الخصوصية الثقافية، بل للأنثروبولوجيا أهداف واضحة تتطابق فى كثير من الأحيان مع أهداف التنمية بل وتسعى إلى تحقيقها. ويمكن توضيح العلاقة الترابطية بين الانثروبولوجيا الاجتماعية والتنمية من خلال بعض الاهتمامات البحثية فى العديد من المجتمعات سواء الصحراوية، أو الريفية الحضرية حيث تهتم الانثروبولوجيا الاجتماعية بدراسة الإنسان ثقافيًا، وبيولوجيا، وفكريًا، وعقائديًا، وكذلك الاهتمام بعلاقة الإنسان بالبيئة، وسائل التكيف والخبرات التقليدية بالبيئة الطبيعية مع الاهتمام بالتغذية، والصحة، والتعليم، وحفظ التراث الثقافى المادى وغير المادى، والكشف عن دور ومكانة المرأة، الوقوف على نمط الزواج وأساليب التنشئة، والهوية الثقافية للمجتمعات، وأثر العولمة فى تشكيل الهوية الثقافية للشباب، والثقافة الصحية والممارسات العلاجية، وصحة الأم والطفل وغيرها من القضايا المجتمعية الهامة.

كذلك التعرف على الممارسات الدينية وعلاقتها بالاقتصاد والسياسة وغيرها من الموضوعات، ولكى نحدد العلاقة بين الانثروبولوجيا والتنمية يجب الوقوف على ما يقوم به خبراء الخطط الاستراتيجية للتنمية، مع ضرورة الاستعانة بالباحثين الانثروبولوجيين خاصة الانثروبولوجيا الاجتماعية – حيث إنها المظلة الكبرى للأنثروبولوجيا والتى يندرج منها تخصصات متنوعة– للاهتمام بالدراسة المتعمقة للكثير من القضايا المجتمعية فى المجال الصحى، والتغذية، والبيئة، والتعليم، والاقتصاد، والقانون، والجريمة، والإعلام، وغيرها من الموضوعات التى إن أُحسن توظيف

آليات البحث العلمى- مع الأخذ بمخرجات الدراسات والبحوث التطبيقية- يمكن تغيير تلك المجتمعات للأفضل وتنمية سكانها مع الحفاظ على الموروثات والسمات الثقافية، حيث يتم التعاون مع الانثروبولوجيين لبدء ما يسمى بلغة العاملين بالمشروعات التنفيذية "رفع منطقة العمل" وهو ما يتم تنفيذه بالأنثروبولوجيا التطبيقية من جمع المعلومات عن المنطقة، ومدى ملائمة المشروع للأهالى، هناك أيضا الاستفادة من الخبرات التقليدية للسكان والاستعانة بهم عند تنفيذ المشروعات التنموية تحقيقا لأحد عناصر نجاح التنمية وهى المشاركة المحلية للأهالى، إلى جانب الاستفادة من المادة التى يتم جمعها من قبل الباحثين للكشف عن طبيعة المكان وعادات وتقاليد السكان. حرصا على نجاح المشروعات نجد- أيضا- إنشاء عدد من المنظمات العالمية غير الحكومية العاملة فى ذات المجالات التى تهتم بها الانثروبولوجيا الاجتماعية والتى أوحت البحوث الانثروبولوجية وإسهامات الرواد فى إنشاء تلك المنظمات وتحديد مجالات اهتماماتها، كما تحرص تلك المنظمات على إجراء وتمويل البحوث الانثروبولوجية فى المناطق التى تسعى لتنميتها منها على سبيل المثال لا الحصر: منظمة اليونسكو، هيئة اليونيسف، برنامج الأمم المتحدة الانمائى، هيئة باث للثقافة والصحة فى أفريقيا، البنك الدولى، مركز التغيير المجتمعى، شراكة العمل المجتمعى، المدن الحية، مؤسسات دعم المبادرات المحلية، التحالف الوطنى للإسكان ومكافحة الايدز، التحالف الوطنى لجمعيات التنمية الاجتماعية والاقتصادية(٣٧).

كذلك المنظمات المعنية بالمرأة، حق الفتيات فى التعليم، منظمات مكافحة الفقر، والمساواة، منظمات تنمية المناطق الصحراوية، الحفاظ على المياه، وغيرها من الهيئات التى تسعى لتنمية المجتمعات والحد من الفقر والأمية، إلى جانب زيادة الوعى الصحى وتحسين الخدمات والعلاقة بين مقدمى الخدمة والأهالى وخفض نسبة الوفيات، وأيضا منظمات الحفاظ على التراث والموروثات الثقافية، وإنشاء المتاحف الصغيرة والعالمية.

وعليه يمكن التأكيد على أن الدراسات والبحوث الانثروبولوجية لا تتوقف عند رصد ووصف المجتمعات وصفًا اثنوجرافيا للثقافات والممارسات اليومية والمناشط والمعتقدات أو التوقف عند إجراء الدراسات المقارنة اثنولوجيا لثقافات الشعوب لتحديد الخصائص التى تميز مجتمع ما عن الآخر، بل أصبحت البحوث الحقلية للمجتمعات المحلية وما تمتلكه، وما هى فى حاجة لامتلاكه من أهم المجالات التى تعول عليها المنظمات والهيئات، حيث أثبتت الدراسات والتجارب الواقعية أن الدراسات الانثروبولوجية هى القادرة على نقل حقيقى لواقع المجتمعات وما تمتلكه من تراث

ثقافى إلى جانب ما يمتلكه المجتمع من موارد بشرية تعد رأس مال اجتماعى يمكن الاستفادة منه فى تطوير المجتمعات من خلال المشاركة المحلية والاستفادة من الخبرات التقليدية مع تطوير مهارات أعضاء المجتمع وتوفر وتطوير الخدمات الأساسية بما يحقق التنمية المحلية اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا. هنا يمكن التأكيد على أن الانثروبولوجيا الاجتماعية كمجال رئيسى لعلم الانثروبولوجيا تعُد حقلا علميا وبحثيا هاما حيث تُعول عليه الدراسات الاثنوجرافية والاثنولوجية للوقوف على طبيعة الأبنية الاجتماعية للمجتمعات ورسم صورة واقعية عن مراحل تطورها إلى جانب الدور الهام للبحوث التطبيقية فى تحقيق الأهداف التنموية، حيث لم يُعد مجال اهتمام البحوث الانثروبولجية قاصرا على المجتمعات البدائية فقط بل امتد الاهتمام إلى المجتمعات المتحضرة والقضايا المعاصرة .

المراجع

١- مصطفى تيلوين، مدخل عام فى الانثروبولوجيا، منشورات الاختلاف، دار الفارابى، بيروت، ٢٠١١، ص٦.

٢- توماس هايلاند؛ فين سيفرت نيلسون، ترجمة لاهى عبد المحسن، منشورات ضفاف، بيروت، ٢٠١٣، ص٧.

٣- ادم كروبر، (ترجمة)، تراجى فتحى، الثقافة التفسير الانثروبولوجى، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٨، ص١٣٩.

٤- مصطفى، تيلوين، مدخل عام فى الانثروبولوجيا، مرجع سبق ذكره، ص٧.

٥- Encyclopaedia britannica.com/science/ anthropology/ social- ter.ac.uk/social-anthropology/ study/what-is-social-anthropology,2016, p.1, visit- 17-7-2020.

٦- أبو بكر قادر؛ حسن رشيق، الانثروبولوجيا فى الوطن العربى، علم الإنسان، دار راسل للنشر والتوزيع، الجزائر،٢٠١٢، ص٢.

للمزيد من المعلومات يمكن الاطلاع على دراسة المجتمعات الصحراوية فى مصر، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية

Indian society and culture. http://indian mythodology. com/ finish/commonideas.php

٧- عيسى الشماس، مدخل إلى علم الانثروبولوجيا، اتحاد الكتاب العربى، دمشق،٢٠٠٤، ص٣.

٨- مصطفى تيلوين، مدخل عام فى الانثروبولوجيا، مرجع سبق ذكره، ص٧.

٩- Zerthun Doda, M.A, social anthropology, Debub university, USA,2005, p.p.663,664.

١٠- Encyclopaedia britannica.com/science/ anthropology, op.cit.

١١- مصطفى تيلوين، مدخل عام فى الانثروبولوجيا، مرجع سبق ذكره، ص١١.

١٢- Zerthun Doda, M.A, social anthropology, op.cit. p.664

١٣- Thomas Hyland Erikson, a history of anthropology, Pluto press, London, 2001, p.2.

١٤- Satish kedia, applied anthropology, domains of application, the university of Memphis, library of congress cataloguing in publication data applied, 2005, pp.2,3

لمزيد من المعلومات يمكن الاطلاع على دليل عمل دراسة المجتمعات الصحراوية وكذلك دليل عمل رؤى العالم الذى أعده الأستاذ الدكتور أحمد أبو زيد ويُعد مرجعا هاما للباحثين منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية. وأيضا:

Role of Bronislaw Malinowski in the Development of British Social Anthropology Essayhttps://ivypanda.com/essays/ethnography

Radcliff-brown's contributions to the study of social organization, the British journal of sociology.vol.6.no.1.

١٥- Satish kedia, applied anthropology, Ibid, pp.1,2.

١٦- Satish kedia, applied anthropology, Ibid, pp.1,2 .

١٧- محمد الجوهرى وآخرون؛ مقدمة فى دراسة الانثروبولوجيا، القاهرة ،٢٠٠٧، ص٢٣.

١٨- Karthik Suresh; Geetha Suresh; Sanjeev Thomas, Design and data analysis, University, of Louisville, kymusam 2012, p.16.

١٩- Carolyn Gray, five main characteristics of anthropology, https://www.the classroom/five-main-characteristics-of-anthropology-12082073-update September 29,2017, p.30.

٢٠- Chris Hann, economic anthropology, Planck institute for social anthropology, Germany, 2018, p.1, visit-15-7-2020.

٢١- أحمد أبو زيد، البناء الاجتماعى، الجزء الأول، الأنساق، الإسكندرية، ١٩٧٦، ص١٧.

٢٢ - Satish kedia, applied anthropology,op.cit. pp.2,3.

٢٣- محمد الجوهرى وآخرون؛ مقدمة فى دراسة الانثروبولوجيا، مرجع سبق ذكره، ص٥٧.

٢٤- Russell Bernard, sixth edition, research methods in anthropology qualitative and quantities approaches, Arizona state university of Florida, New York, London, 2018, p.18.

٢٥- Russell Bernard, sixth edition, research methods in anthropology: qualitative and quantitative approaches, ibid, p.3.

Russell Bernard, sixth edition, research methods in anthropology qualitative and quantitative approaches, ibid, p.18. -٢٦

Susan c. scrimshaw, ethnography, rapid-assessment, the international encyclopaedia of anthropology, 2018, p.4. -٢٧

Encyclopaedia britannica.com/science/ anthropology, op.cit. -٢٨

Russell Bernard, sixth edition, research methods in anthropology qualitative and quantitative approaches, op.cit. p.19. -٢٩

Anna. O. Krueger, economic development, Stanford university, California, 2012, p.1. -٣٠

David Lewis, anthropology and development, the un easy relationship, LSE research on line funder under usaid cooperative agreement,2005, pp.253,254. -٣١

UCL.ac.uk/anthropology/about/social- anthropology, the university of Manchester, 2005, pp.7,15, visit-15-7-2020. -٣٢

David Lewis, anthropology and development, the un easy relationship, LSE research on line funder under usaid cooperative agreement,2005, p.253. -٣٣

Satish kedia, applied anthropology, op.cit. p.3. -٣٤

لمزيد من المعلومات يمكن الاطلاع على:

Latour, B. 2000. The Berlin Key or how to do words with things. In Matter, materiality modern culture (ed.) P.M. Graves-Brown, 10-21. London and New York: Rutledge Museum Worlds Advances in Research 5 (eds) S. Dudley & C. McCarthy, 113-35. Oxford: Berghahn

Satish kedia, applied anthropology, domains of application, op.cit. pp. 2,3. -٣٥

Joanna Gomes cardose, applied and academic anthropology in development distance or engagement, katholiek university, Leuven,2007, p.102 -٣٦

Community,wealth.org. support organization community development corporations CDCs, alliance for healthy humans,2018, p.3 visit/19-7-2020. - ٣٧

Abstract

ANALYTICAL VISION OF THE DEVELOPMENT FEATURES OF SOCAL ANTHROPOLOGY: SUBJECT, METHODS AND DISCIPHINES

Sanaa Mabrouk

Since the emergence of anthropology in the end of the nineteenth century and the beginning of the twentieth century, there have been many discussions that were raised about anthropology as a science. Perhaps this is due to the nature of anthropology, which combines between the discipline of natural sciences and social sciences; in addition to the dispute over determining the actual history of its inception. Some writings suggest that it originated after the first World War, while others trace it back to a distant historical period where some Greek writings were interested in man and his culture. Given the importance of social anthropology, the current paper attempts, via rooting and theoretical analysis, to identify the features of the development of anthropology, the main areas of anthropology, social anthropology, emerging areas of interest, the pioneers of social anthropology and their contributions, the launch of academic interest in social anthropology, the stages of development of the anthropological curriculum, also the relationship between anthropology and development, and other factors that are related to this important branch of anthropology.